۳۰۴
تفسیر کشاف

تفسیر کشاف از سورۂ انفال تا سورۂ ابراہیم
جلد اوّل

IMPERIAL LIBRARY
22. DEC. 04
IMPERIAL LIBRARY

سورة الانفال مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْاَنْفَالِ قُلِ الْاَنْفَالُ لِلّٰهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللّٰهَ
وَاَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَاَطِيعُوا اللّٰهَ وَرَسُولَهُ اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

النفل الغنيمة لانها من فضل الله وعطايه قال لبيد شعر
ان تقوى ربنا خير نفل والنفل ما ينفله الغازى اى يعطاه
زايدا على سهمه من المغنم وهو ان يقول الامام تحريضا على البلاء
فى الحرب من قتل قتيلا فله سلبه او قال السرية ما اصبتم فلكم
او فلكم ربعه او ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفاء
بما وعد به وعند الشافعى رضى الله عنه فى احد قوليه لا يلزم
ولقد وقع اختلاف بين المسلمين فى غنائم بدر وفى قسمتها
فسالوها رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نقسم ولمن الحكم
فى قسمتها المهاجرين او الانصار ام لهم جميعا فقيل له قل لهم
هى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الحاكم فيها خاصة يحكم

فيها ما يشاء ليس لاحد غيره فيها حكم وقيل شرط لمن كان له بلاء في ذلك
اليوم ان يفعله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين
فلما يسر الله الفتح اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا فقال الشبان نحن المقاتلون
وقال الشيوخ وجوه الذين كانوا عند الرايات كنا رداء لكم وفيه
تحازون الينا ان اهزمتم وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قليل والناس كثير فان تعط هولاء ما شرطت لهم حرمت اصحابك فنزلت
وعن سعد بن ابي وقاص قال اخي عمير يوم بدر فقتلت بر سعيد بن
العاص واخذت سيفه فاعجبني فجئت به الى رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم فقلت ان الله قد شفى صدري من المشركين هب لي هذا
السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما
يعلم الا الله من قتل اخي وأخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى جاني
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد انزلت سورة الانفال يا سعد
انك سالتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وعن
عبادة بن الصامت نزلت فينا يا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا في النفل
وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا فجعله لرسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى
وطاعة رسوله واصلاح ذات البين وقرا ابن محيصن علنفا بحذف
الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن في اللام وقرا ابن
مسعود يسئلونك الانفال اي يسيلك الشبان ما شرطت لهم من
الانفال فان قلت ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول في قوله
قل الانفال لله والرسول قلت معناه ان حكمها مختص بالله ورسوله

يامر الله بقسمتها على ما يقتضيه حكمته ويمتثل الرسول امر الله فيها وليس
الامر في قسمتها مفوضا الى راى احد والمراد ان الذى اقتضته حكمة الله ورسوله
ان يواسى المقاتلة المشروطهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند
الروايات في قاسموهم على السوية ولا يستاثروا بما شرط لهم فانهم ان فعلوا
لم يومن ان يقدح ذلك فيما بين المسلمين من التحاب والتصافى فاتقوا الله
في الخلاف والتخاصم وكونوا متحدين متاخين في الله واصلحوا ذات بينكم وتواسوا
وتساعدوا فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم وعن عطا كان الاصلاح بينهم
ان دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد اكلنا وانفقنا قال البرد
بعضكم على بعض فان قلت ما حقيقة قوله ذات بينكم قلت احوال بينكم
يعني ما بينكم من الاحوال حتى تكون احوال الفة ومحبة واتفاق كقوله بذات
الصدور وهي مضمراتها لما كانت الاحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين
كقولهم اسقني ذا اناءك يريدون ما في الاناء من الشراب وقد جعل التقوى
واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله من لوازم الايمان وموجباته
ليعلمهم ان كمال الايمان موقوف على التوفر عليها ومعنى قوله ان كنتم مؤمنين
كاملى الايمان إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا
تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ
عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ واللام في قوله انما المؤمنون اشارة
اليهم اى انما كاملوا الايمان الذين من صفتهم كيت والدليل عليه قوله
اولئك هم المومنون حقا وجلت قلوبهم فزعت وعن ام الدرداء الوجل
في القلب كاحتراق السعفة اما تجد له قشعريرة قال بلى قالت فادع الله

فان الدعا يذهبه يعني فرغت لذكره استعظاما له وهيبا من جلاله وعز
سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله
تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله لان ذلك ذكر رحمته ورافته وثوابه
وقيل هو الرجل يريد ان يظلم اويهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع
وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة نحو وبق في وبق وفي قراءة عبد الله
فزادتهم ايمانا ازداد وبها يقينا وطمانينة نفس لان تظاهر الادلة
اقوى للمدلول عليه واثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل وعن ابي
هريرة الايمان سبع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله
وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان وعن عمر بن
عبد العزيز ان للايمان سننا وفرايض وشرايع فمن استكملها استكمل الايمان
ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان وعلى ربهم يتوكلون ولا يفوضون امورهم الى غيرهم
لا يعتمدون ولا يرجون الا اياه جمع بين اعمال القلوب من الخشية والاخلاص
والتوكل وبين اعمال الجوارح من الصلوة والصدقة حقا صفة للمصدر المحذوف
اي اولئك هم المؤمنون حقا او هو مصدر مؤكد للجملة التي هي اولئك هم
المؤمنون كقوله هو عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وعن الحسن ان رجلا سأله
امؤمن انت قال الايمان ايمانان فان كنت تسألني عن الايمان بالله وملائكته
وكتبه ورسله واليوم الاخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا مؤمن
وان كنت تسألني عن قوله انما المؤمنون فوالله لا ادري انا منهم ام لا وعن
الثوري من زعم انه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل الجنة فقد امن بعض
الآية وهذا الزام منه يعني حكما لا يقطع بانه من اهل ثواب المؤمنين فلا يقطع بانه
مؤمن حقا وبهذا تعلق من يستثني في الايمان وكان ابو حنيفة رحمه الله

ممن لا يستثنى فيه وحكى عنه انه قال اتباعا لابرهيم فى قوله والذى اطمع
ان يغفر لى فقال له هلا اقتديت به فى قوله اولم تؤمن قال بلى لهم درجات
شرف وكرامة وعلو منزلة ومغفرة وتجاوز لسيئاتهم ورزق كريم نعيم
الجنة يعنى لهم منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم وهذا معنى الثواب كما
اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون
يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون
كما اخرجك ربك فيه وجهان احدهما ان يرتفع محل الكاف على انه خبر مبتدا
محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعنى ان حالهم فى كراهة ما رأيت
من تنفيل الغزاة مثل حالهم فى كراهة خروجهم للحرب والثانى ان ينتصب على انه
صفة مصدر الفعل المقدر فى قوله الانفال لله اى الانفال استقرت لله
والرسول وثبت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك
وهم كارهون ومن بيتك يريد بيته بالمدينة او المدينة نفسها لانها مهاجره
ومسكنه فرمى فى اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه بالحق اى اخراجا ملتبسا
بالحكمة والصواب الذى لا محيد وان فريقا من المؤمنين لكارهون فى موضع
الحال اى اخرجك فى حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام فيها
تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن
هشام فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم
تلقى العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا وبلغ اهل مكة خبر خروجهم نادى
ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول غير كم اموالكم
ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقدرات اخت عبد المطلب رويا فقالت
لاخيها انى رايت عجبا رايت كان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق

فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال
ابو جهل ما يرضى رجالهم ان يتنبأ واحتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة
وهم النفير في المثل السائر لا في العير ولا في النفير فقيل له ان العير اخذت طريق
الساحل وبحث فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر
الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب
بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد اعضضناه قضيهم الى بدر وبدر ماء
كانت العرب تجمع فيه سوقهم يوما في السنة ونزل جبريل فقال يا محمد ان الله
وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه
واله وسلم اصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب
وذلول فالعير احب اليكم ام النفير قالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو
فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ثم رد عليهم فقال ان الغير قد
مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع
العدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه واله وسلم ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا
ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو شئت الى عدن ابين ما تخلف
عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله فانا
معك حيث ما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك
فقاتلا انا ها هنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون
ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها
الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا براء من ذمامك
حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا
ونساءنا فكان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يخوف ان يكون الانصار

لاترى عليكم نضرة الاعلى عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال كانك
تريدنا يارسول الله قال اجل قال قد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان
ماجيت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة
فامض يارسول الله لما اردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا
البحر فخضته لخضنا معك ما تخلف منا رجلا وما نكره ان تلقى واحدبنا عدونا
انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقا ولعل الله يريك منا مايقر به عينك فسر
على بركة الله ففرح رسول الله صم ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا
فان الله وعدنى الان احدى الطائفتين والله لكانى انظر الى مصارع القوم
ان قيل لرسول الله صم حين فرغ من بدر عليك بالعين ليس دونها شئ فاداه العباس
وهو فى وثاقه لايصلح فقال له النبى صم قال كان الله وعدك احدى الطائفتين
وقد اعطاك ما وعدك وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وان فريقا من المؤمنين
لكارهون والحق الذى جادلوا فيه رسول الله صم تلقى النفير ايثارهم عليه تلقى العير بعد
ماتبين بعد اعلام رسول الله صم بانهم ينصرون وجدالهم قولهم ماكان خروجنا
الا للعير وهلا قيل لنا ٥ لنستعد وثناء هب وذلك لكراهتهم القتال فرشبه
حالهم فى فرط فزعهم ورعبهم وهم يساقون الى الظفر والغنيمة بحال من يقتل الى القتل
ويساق على الصغار الى الموت المتيقن وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها لايشك فيها
وقيل كان خوفهم لقلة العدد وانهم كانوا رجالة وروى انه ماكان فيهم الا فارسان
اذ مضمون باضمار اذكروا انها لكم بدل من احدى الطائفتين والطايفتان العير والنفير
وغيرات الشوكة العير لانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا والشوكة كانت فى النفير
لعددهم وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويقال شوك القنا
لشباها ومنها قولهم شائك السلاح اى تتمنون ان تكون لكم العير لانها الطائفة

التي لا حرة لها ولا شدة ولا تريدون الطايفة الاخرى ان يحق الحق ان يثبته
ويعليه بكلماته باير المنزلة في محاربة ذات الشوكة وهما امر الملايكة من نزولهم للنصر
وبما قضى من اثرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر والدابر الاخر فاعل من دبر اذا ادبر
ومنه دابرة وقطع الدابر عبارة عن الاستيصال يعني انكم تريدون الفاصلة العاجلة
وسفساف الامور وان لا تلقوا ما يرزقكم في ابدانكم واحوالكم والله عز وعلا
يريد معالي الامور وما يرجع الى عمارة الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة والفوز
في الدارين فشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطايفة ذات الشوكة وكسر
قوتهم بضعفكم وعلب كثرتهم بقلتكم واعزكم واذلهم وحصل لكم ما لا يعارضه ما فاتكم
العير وما فيها وقرئ بكلمته على التوحيد فان قلت بم تعلق قوله ليحق الحق ويبطل
الباطل وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل
فعل ذلك ما فعله الا لنهما وهو اثبات الاسلام واظهاره وبطال الكفر ومحقه
فان قلت ليس هذا تكريرا قلت لا لان المعنيين متباينان وذلك ان الاول تبيين
بين الارادتين وهذا بيان الغرض فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها
ونصرتهم عليها وانما نصرهم ولا خذل اولئك الا لهذا الغرض الذي هو سيد
الاغراض ويجب ان يقدر المحذوف متاخرا حتى يفيد معنى الاختصاص وينطبق
عليه المعنى وقيل قد تعلق بيقطع فان قلت بم يتعلق اذ تستغيثون ربكم
فاستجاب لكم انى ممدكم بالف من الملايكة مردفين اذ تستغيثون قلت هو بدل
من اذ يعدكم وقيل بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم انهم لما علموا
انه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون اى ربنا نصرنا على عدوك
يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر رضى الله عنه ان رسول الله ص انظر الى المشركين
وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لى

ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى
سقط رداءه فاخذه ابو بكر فالقاه على منكبه والتزمه من ورايه وقال يا نبي الله
كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك انى ممدكم اصله باني فخمه
الجار وسلط عليه استجاب فضب محاله وعن ابي عمر وانه قرا انى ممدكم بالتكر
على ارادة القول وعلى اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول فان قلت
هل قاتلت الملائكة يوم بدر قلت اختلف فيه فقيل نزل جبريل في خمس مائة
ملك على الميمنة وفيها ابو بكر وميكايل في خمسمائة على الميسرة وفيها امير المؤمنين
علي ابن ابي طالب في صورة الرجال عليهم ثياب بيض وعمايم بيض قد ارخوا
ازنابها بين اكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب
ويوم حنين وعن ابي جهل انه قال لابن مسعود من اين كان ذلك الصوت
الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال ابو جهل هم غلبونا لا انتم
وروي ان رجلا من المسلمين بينما هو يشتد في اثر رجل من المشركين اذ سمع
صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر فاذا المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه
فحدث الانصاري رسول الله ص فقال صدقت ذاك من مدد السماء وعن ابي
داود المازني تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع راسه بين يدي
قبل ان يصل اليه سيفي وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويبشرون المؤمنين
والا فملك واحد كاف في اهلاك اهل الدنيا كلهم فان جبريل اهلك بريشة
من جناحه مدائن قوم لوط واهلك بلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة
وقرئ مردفين بكسر الدال وفتحها من قولك ردفه اذا تبعه ومنه قوله ردف
لكم بمعنى ردفكم واردفته اياه اذا اتبعته ويقال ارادفه كقوله اتبعته اذا تبعه
بعده فلا تخلوا المكسور الدال من ان يكون بمعنى متبعين بعضهم لبعض او متبعين

فان كان بمعنى متبعين فلا يخلوا من ان يكون بمعنى متبعين بعضهم بعضا
او متبعين بعضهم لبعض او بمعنى متبعين اياهم المومنين اى يقرمونهم فيتبعو
انفسهم او متبعين لهم يشيعونهم ويقرمونهم بين ايديهم وهم على ساقتهم ليكو
على اعينهم وحفظهم او بمعنى متبعين انفسهم ملايكة اخرين او متبعين غيرهم
من الملايكة ويعضد هذا الوجه قوله تعالى فى ال عمران ثلثة الاف من الملا
منزلين بخمسة الاف من الملايكة مسومين ومن قرا مردفين بالفتح فهو بمعنى
متبعين ومتبعين وقرى مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال واصله مرتدفين
اى مترادفين او متبعين من ارتدفه فادغمت تاء الافتعال فى الدال فالتقى ساكنان
فحركة الراء بالكسر على الاصل او على اتباع الدال وبالضم فى اتباع الميم وعن السدى
بالاف من الملايكة على الجمع ليوافق ما فى سورة ال عمران فان قلت فلم تعتد
لمن قرا على التوحيد ولم يفسر المردفين بارداف الملايكة ملايكة اخرين والمردفين
بيرتدافهم غيرهم قلت بان المراد بالالف من قاتل منهم او الوجوه منهم الذين
من سواهم اتباع لهم فان قلت الام يرجع الضمير فى وَمَا جَعَلَهُ اللّٰهُ اِلَّا بُشْرٰى
وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ اِلَّا مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وما جعله
الا قوله انى ممدكم لانه مفعول القول المضمر فهو فى معنى القول ويجوز ان يرجع
الى الامداد الذى يدل ممدكم الا بشرى لكم اى الا بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبنى
اسرايل يعنى انكم اسعد وتضرعتم لقلتكم وذلتكم فكان الامداد بالملايكة بشارة
لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم ومن نصر الا من عند الله يريد ولا تحسبوا
النصر من الملايكة فان الناصر هو الله لكم والملايكة اوتما النصر الملايكة وغيرهم من الاسباب
الامن عند الله والمنصور من نصره الله اِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ اَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ

الاقدام اذ يغشيكم بدل ثان من اذ يعدكم او منصوب بالنصر او بما في عند الله من
معنى الفعل او بما جعله الله او باضمار اذكر وقرئ يغشاكم بالتخفيف والتشديد
ونصب النعاس والضمير لله عز وجل وامنة مفعول له فان قلت اما وجب ان يكون
فاعل لفعل المعلل والعلة واحدا قلت بلى ولكن لما كان معنى يغشاكم النعاس
تنعسون انتصب امنة على ان النعاس والامنة لهم والمعنى اذ تنعسون امنة بعضى
امنا اى لامنكم ومنه صفة لها اى امنة حاصلة لكم من الله فان قلت فعلى هذه القراءة
يجوز ان يكون الامنة بمعنى الايمان اى يغشاكم النعاس فتنعسون امنا هل يجوز
ان ينتصب على ان الامنة للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم اى يغشاكم النعاس الامنة
على ان اسناد الامن الى النعاس اسناد مجازى وهو الاصحاب النعاس على الحقيقة
او على انه انامكم في وقت كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف ان لا
يقدم على غشيانكم وانما يغشيكم امنة حاصلة من الله لولاها لم يغشكم على طريقة
التمثيل والتخييل قلت لا يبعد فصاحة القرآن عن احتماله وله نظائر وقد امر
من قال لهاب النوان يغشى عيونا تهابك فهو يفارسر وروقرئ امنة بسكون الميم
ونظيرا من امنة حيى جوع ونحوا من امنة رحم رحمة والمعنى ان ما كان بهم من الخوف
كان يمنعهم من النوم فلما طاء من الله قلوبهم وامنهم رقدوا وعن ابن عباس في
القتال امنة من الله وفي الصلوة وسوسة من الشيطان وينزل وقرئ بالتخفيف
والتثقيل وقراء النجعي ما ليطهركم به قال ابن جني ما موصولة وصلتها حرف الجر
بما يجرم فكانه قيل ما للطهور رجز الشيطان وسوسته اليهم وتخويفه اياهم من العطش
وقيل الجنابة لانها من تخييله وقرئ رجز الشيطان وذلك ان ابليس تمثل لهم وكان
المشركون قد سبقوهم الى الماء ونزل المؤمنون في كثيب اعفر فقالوا فيما الا قدام على
نجسا وانتم فاحتلم اكثرهم فقال لهم انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم

تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على حق ما غلبكم هؤلاء على
الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهركم العطش فاذا قطع العطش اعناقهم مشوا
اليكم فقتلوا من احبوا وما قا بقيتكم الى مكة فخرّوا خرّا شديدا واشفقوا فانزل الله
المطر فطر وا الليل حتى جرى الوادي واتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضوا واتلبد الرمل
الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان
وطابت النفوس والضمير في به للماء ويجوز ان يكون للربط لان القلب اذا تمكن فيه
الصبر والجراءة ثبتت القدم في مواطن القتال اذ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ
أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا
فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ اذ يوحي يجوز ان يكون
بدلا من اذ يعدكم وان ينتصب بيثبت اني معكم مفعول يوحي وقرئ
انى بالكسر على ارادة القول او على اجراء يوحي مجرى يقول كقوله انى ممدكم والمعنى
اني معكم على التثبيت فثبتوهم وقوله سالقي فاضربوا يجوز ان يكون تفسيرا لقوله
اني معكم فثبتوا ولا معوز اعظم من الفاء الثبت في قلوب الكفرة ولا تثبيت ابلغ
من ضرب اعناقهم واجتماعهما غاية النصرة ويجوز ان يكون غير تفسير وان يراد
بالتثبيت ان يخطر لسالهم ما يقوى به قلوبهم ويصح عزائمهم ونياتهم في القتال
وان يظهروا ما يثبتون به انهم ممدون بالملائكة وقيل كان الملك يتشبه
بالرجل الذي يعرفون وجهه فيأتي ويقول اني سمعت المشركين يقولون والله
لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول ابشروا فان الله ناصركم فانكم
تعدونه وقرئ الرعب بالتثقيل فوق الاعناق اراد اعالي الاعناق التي هي المذابح

لانها مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها اخرا وتطيير للرؤس وقيل اراد الرؤس
فوق الاعناق يعني ضرب الهام قال واضرب هامة البطل المشيح غشيته وهوى في
جاؤا باسلة غضبا اصاب سواء الراس فانفلقا والبنان الاصابع يريد الاطراف
والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لان الضرب اما واقع على مقتلا وعلى غير مقتل
فامرهم ان يجمعوا عليهم النوعين معا ويجوز ان يكون قوله سالقي الى قوله كل
بنان عقيب قوله فثبتوا الذين آمنوا سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب وكانهم قالوا كيف نثبتهم فقال
لهم قولوا لهم قولي سالقي فاضاربون على هذا هم المؤمنون ذلك اشارة الى ما
اصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل ومحله الرفع على الابتداء وبانهم
خبره اي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم والمشاقة مشتقة من الشق لان
كلا المتعاديين في شق خلاف شق صاحبه وسميت في المنام عن استحقاق المعاداة
فقلت لان هذا من في عدو وذاك في عدو كما قيل المخاصمة والمشاقة لاترهما
في خصم اي جانب وذاك في خصم وهذا في شق وذاك في شق والكاف في ذلك
لخطاب الرسول او الخطاب كل احد وفي ذلكم فذوقوه وان للكافرين
عذاب النار يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا
تولوهم الادبار ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحل ذلكم الرفع
على ذلكم العقاب والعقاب ذلكم فذوقوه ويجوز ان يكون نصبا على عليكم
ذلكم فذوقوه كقوله زيدا فاضربه وان للكافرين عطف على ذلكم في وجهيه
او نصب على ان الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العقاب العاجل مع الاجل
الذي لكم في الاخرة فوضع الظاهر موضع الضمير وفي الحسن وان للكافرين بالكسر
زحفا حال من الذين كفروا والزحف الجيش الرهيم الذي يرى لكثرته كانه يزحف

اى يدب دبيبا من زحف الصبى اذا دب على استه قليلا قليلا سمى بالمصدر
والجمع زحوف والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم قليلا فلا تفروا
فضلا ان تدانوهم فى العدد اوتساووهم اوحال من الفريقين اى اذا لقيتموهم
متزاحفين هم وانتم اوحال من المؤمنين كانهم اشعروا بما كان سيكون منهم يومئذ
حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر الفا وتقدم نهيهم
عن الفرار يومئذ وفى قوله ومن يولهم اشارة عليه ومن يولهم يومئذ دبره
الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله وماواه
جهنم وبئس المصير الا متحيزا فالقتال هو الكر بعد الفر نحل عدوه انه منهزم
ثم يعطف عليه وهو باب من خدع الحرب ومكايدها او متحيزا او محازا الى فئة
الى جماعة اخرى من المسلمين سوى الفئة التى هو فيها وعن ابن عمر رضى الله عنه
خرجت سرية وانا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت
فقلنا يا رسول الله نحن الفرارون فقال لا انتم العكارون وانا فئتكم وان هزم
رجل من القادسية فانى المدينة الى عمر رضى الله عنه فقال يا امير هلكت فررت
من الزحف فقال عمر انا فئتك وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الفرار من الزحف
من اكبر الكبائر فان قلت بم ينتصب الا متحرفا قلت على الحال او الاستثناء
من المولين اى ومن يولهم الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا وقرا الحسن دبره بالسكون
ووزن المتحيز متفيعل لا متفعل لانه من جاز يجوز فبناء متفعل منه متجوز لما
اهل مكة وقتلوا واسروا اقبلوا على التفاخر فكان الفاضل يقول قتلت واسرت
ولما طلعت قريش قال رسول الله صلعم هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون
رسولك اللهم انى اسئلك ما وعدتنى فاتاه جبريل فقال خذ قبضة من تراب فارمهم
فقال لما التقى الجمعان لعلى اعطى قبضة من حصباء الوادى فرمى بها فى وجوههم

وقال شامت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا ورد فهم المؤمنون
يقتلونهم وياسرونهم فقيل لهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت
اذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع
عليم فلم تقتلوهم والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم
فما انتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لانه هو الذى انزل الملائكة والقى الرعب
فى قلوبهم وشاء النصر والظفر واقوى قلوبكم واذهب عنها الفزع والجزع
وما رميت انت يا محمد اذ رميت ولكن الله رمى يعنى ان الرمية التى رميتها
لم ترمها انت على الحقيقة لانك لو رميتها لم يبلغ اثرها الا الى ما يبلغه اثر رمى
البشر ولكنها كانت رمية الله حيث اثرت ذلك الاثر العظيم فاثبت الرمية
لرسول الله صلعم لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان اثرها الذى
لا يطيقه البشر فعل الله تعالى فكان الله هو فاعل الرمية على الحقيقة وكانها
لم توجد لرسول الله اصلا وقرئ ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى تخفيفا ورفع
ما بعده وليبلى المؤمنين وليعطيهم بلاء حسنا عطاء جميلا قال زهير شعر
فابلاهما خير البلاء الذى يبلوى والمعنى وللاحسان الى المؤمنين فعل ما فعل
وما فعله الا لذلك ان الله سميع لدعائهم عليم باحوالهم ذلكم وان الله موهن
كيد الكافرين ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خيرا لكم
وان تعودوا نعد ولن تغنى عنكم فيتكم شيئا ولو كثرت وان الله مع
المؤمنين ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع اى الامر ذلكم وان الله
موهن معطوف على ذلكم يعنى ان الغرض ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين
وقرئ موهن بالتشديد وقرئ على الاضافة وعلى الاصل الذى هو التنوين
والاعمال ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك

انهم حين اراد وا ان ينفروا تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر قرانا
للضيف واوصلنا للرحم وانكن المعاني ان كان محمد صعلى حق فانصره او كنا
على حق فانصرنا وروى انهم قالوا اللهم انصر على الجندين واهدى الفئتين
واكرم الحزبين وروى ان ابا جهل قال يوم البدر اللهم اينا كان اهجر واقطع
للرحم فاحنه اليوم اى فاهلكه وقيل ان تستفتحوا خطاب للمؤمنين وان
تنتهوا خطاب للكافرين يعني وان تنتهوا عن عداوة رسول الله صفهو خيرا لكم
واسلم وان تعودوا للمحاربة نعد لنصرته عليكم وان الله قرئ بالفتح على ولان الله
مع المؤمنين كان ذلك وقرئ بالكسر وهذا اوجه ويعضدها قراءة ابن مسعود
والله مع المومنين وقرئ ولن يغني عنكم بالياء للفصل ولا تولوا قرئ بطرح احدى
التائين وادغامها يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه
وانتم تسمعون والضمير في عنه لرسول الله صلان المعنى واطيعوا رسول الله
كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه ولان طاعة الرسول فقد اطاع الله فكان
رجوع الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما كقولك الاحسان والاجمال لا ينفع فيه فلان
ويجوز ان يرجع الضمير الى الامر بالطاعة اى ولا تولوا عن هذا الامر وامتثاله
وانتم تسمعون اى وولا تتولوا عن رسول الله صولا تخالفوه وانتم تسمعون اى
تصدقون لانكم مؤمنون ولستم كالصم المكذبين من الكفرة ولا تكونوا كالذين
قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا اى ادعوا
السماع وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فكانهم غير سامعين والمعنى انكم
تصدقون بالقران والنبوة فاذا توليتم عن طاعة رسول الله في بعض الامور
من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق واشبه سماعكم سماع من لا
يؤمن ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذي لا يعقلون ثم قال ان شر

الدواب اى ان شر الدواب عند الله على وجه الارض وان شر البهائم الذين هم صم عن الحق
لا يعقلون جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم من شرها ولو علم الله فيهم خيرا
لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوهم معرضون ولو علم الله فى هؤلاء الصم البكم
خيرا اى انتفاعا بالطف لاسمعهم للطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين ثم قال
ولو اسمعهم لتولوا يعنى ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم الطاف
او ولو لطف بهم فصدقوا الا ارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وقيل هم
بنو عبد الدار ين قصى لم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة
كانوا يقولون نحن صم بكم عمى عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا باحد
وكانوا اصحاب اللواء وعن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن اهل الكتاب
اذا دعاكم وحد الضمير ايضا كما وحد فيما قبله لان استجابة رسول الله كاستجابته
وانما يذكر احدهما مع الآخر للتوكيد والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال و
بالدعوة البعث والتحريض وروى ابو هريرة ان النبى صلعم مر على باب
وهو فى الصلوة فجعل فى صلوته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتى قال كنت
اصلى قال الم تخبر فيما اوحى الى استجيبوا لله وللرسول قال لاجرم لا ادعوك الا
وفيها قولان احدهما ان هذا مما اختص به رسول الله صلعم والثانى ان دعاءه
كان الامر لم يحتمل التاخير واذا وقع مثله للمصلى فله ان يقطع صلوته لما يجب عليه
من علوم الديانات والشرايع لان العلم حوة كما ان الجهل موت وليعضهم شعر
لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن وقيل باهدة الكفار لانهم لو وفقوا
لصوبهم وقبلوهم كقوله ولكم فى القصاص حوة وقيل الشهادة كقوله بل احياء عند
ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه يعنى انه يميته فيفوته الفرصة التى هو
واجدها وهى التمكن من اخلاص القلب ومعالجة ادوائه وعلله ويرده سليما كما كان

يا ايها الذين امنوا استجيبوا
لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم
واعلموا ان الله يحول بين المرء
وقلبه وانه اليه تحشرون

فاغتنموا هذه الفرصة واخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله واعلموا انكم
اليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلب واخلاص الطاعة وقيل معناه
ان الله قد يحول بين العبد وقلبه فيفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويبدله
بالخوف امنا وبالامن خوفا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما اشبه ذلك
مما هو جائز على الله تعالى فاما ما تاب عليه العبد ويعاقب من افعال القلوب
فلا والمجبر على ان يحول بين المرء والايمان اذا كفر وابينه وبين الكفر اذا امن تعالى
عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقيل معناه ان يطلع على كل ما يخطره المرء بباله
لا يخفى عليه شئ من ضمائره فكانه يحول بينه وبين قلبه وقرئ بين المرء وتشديد
الراء ووجهه ان قدر حرف الهمزة والقى حركتها على الراء كالحب ثم نوى الوقف
على لغة من يقول مررت بعمر واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم
خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب فتنة ذنبا قيل هو اقرار المنكرين
بالمنكر وقيل افتراق الكلمة وقيل فتنة عذابا وقوله لا تصيبن لا يخلو امر ان يكون
جوابا للامر او نهيا بعد امر او صفة لفتنة فاذا كان جوابا فالمعنى ان اصابتكم لا تصيب
الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وهذا كما حكى ان علماء بني اسرائيل هوا عن تحذيرا
فعمهم الله بالعذاب واذا كانت نهيا بعد امر فكانه قيل واخذوا ذنبا اوعقابا ثم قيل
لا تعرضوا للظلم فيصيب العقاب واثر الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة وكذلك
اذا جعلته صفة على ارادة القول كانه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن وتظهره
قوله حتى اذا جاز الظلام فاختلطا جاز وامتد وهل رايت الذئب قط اى امتد وقيل فيه
هذا القول لانه سمار فيه لون الورقة التي هي لون الذئب ويعضد المعنى الاخر قراءة ابن
مسعود لتصيبن على جواب القسم المحذوف وعن الحسن نزلت في امير المؤمنين علي وعمار
وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة قال الزبير نزلت فينا وقرأناها زمانا وما كنا نرى اهلها

فاذا نحن المعنيون بها وعن السيدى نزلت في اهل بدر فقتلوا يوم الجمل وروى ان
الزبير كان يساير النبي ص يوما اذا قبل علي فضحك اليه الزبير فقال له رسول الله ص كيف حبك
لعلي فقال يا رسول الله بابي انت وامي اني احبه كحبي لولدي او اشد حبا قال فكيف انت اذا سرت
اليه تقاتله فان قلت كيف جاز ان يدخل النون المؤكدة في جواب الامر قلت لان فيه
معنى النهي اذا قلت انزل على عن الدابة لا تطرحك فلذلك جاء لا تطرحنك ولا قضين
ولا يحطمنكم فان قلت فما معنى من قوله الذين ظلموا منكم قلت التبعيض على القول
الاول والتبيين على الثاني لان المعنى لا تصيبنكم خاصة على ظلمكم لان الظلم
اقبح منكم من سائر الناس واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في
الارض تخافون ان يتخطفكم فاوكم وايدكم بنصره ورزقكم من
الطيبات لعلكم تشكرون يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله
والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون اذ انتم نصب على انه مفعول به
مذكور لا ظرف اى اذكروا وقت كونكم اقلة اذلة مستضعفين في ارض
ارضكم قبل الهجرة يستضعفكم قريش تخافون ان يتخطفكم الناس لان الناس
كانوا جميعا لهم اعداء خافين مضادين فاوكم الى المدينة وايدكم بنصره بظاهر
الانصار وامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم
تشكرون ارادة ان تشكروا هذه النعم وعن قتادة كان هذا الحي من العرب
اذل الناس واشقاهم عيشا واعراهم جلدا وابينهم ضلالا يوكلون ولا يأكلون
فمكن الله لهم في البلاد ووسع لهم في الرزق والغنائم وجعلهم ملوكا معنى الخون
النقص كما ان معنى الوفاء التمام ومنه تخونه اذا انتقصه ثم استعمل في ضد الامانة
والوفاء لانك اذا خنت الرجل في شيء فقد اد خلت عليه النقصان فيه وقد
يقبح استعير فقيل خان الدلو الكرب وخان المشار والسبب لانه اذا انقطع به فكانه لم

ومنه قوله وتخونوا امانا تكم والمعنى لا تخونوا الله بان تعطلوا فرايضه ورسوله
بان لا تشنوا بر واما نا تكم فيما بينكم بان لا تحفظوها وانتم تعلمون تبعة ذلك
و وباله وقيل وانتم تعلمون انكم تخونون يعني ان الخيانة توجد منكم عن تعمد
لا عن سهو وقيل وانتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن وروى ان نبي الله
حاصر يهود بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما صالح اخوانهم
بني النضير على ان تسيروا الى اذرعات واريحا من ارض الشام فابى رسول الله
الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة بن المنذر وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا
له ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت
قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري
المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث
سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك
فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني
فجاء فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب
وان انخلع من مالي فقال صه بحزك الثلث ان تصدق به وعن المغيرة نزلت في
قتل عثمان رضي الله عنه وقيل اماناتكم ما ائتمنكم الله عليه من فرايضه وحدوده
فان قلت وتخونوا اجزم هو امر نصب قلت يحتمل ان يكون جزما داخلا
في حكم النهي وان يكون نصبا باضمار ان كقوله ويكتموا الحق وقرا مجاهد وتخونوا
امانتكم على الجمع واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة وان الله
عنده اجر عظيم جعل الاموال والاولاد فتنة لانهم سبب الوقوع في الفتنة
وهي الاثم او العذاب او محنة من الله ليبلوكم حيث كيف تحافظون فيهم على حدوده

وان الله عنده اجر عظيم فعليكم ان تتوطوا بطلبه وبما يودى اليه همكم وتزهدوا في
الدنيا ولا يحرصوا على جميع المال وحب الولد حتى يورطوا انفسكم من اجلهما كقوله والمال
والبنون الاية وقيل هي من جملة ما نزل في ابي لبابة وما فرط منه لاجل ماله وولده
يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سياتكم
ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم فرقانا نصرا لانه يفرق بين الحق والباطل
وبين الكفر باذلال حزبه والاسلام باعزاز اهله ومنه قوله تعالى يوم الفرقان
اى بيانا وظهورا يشهر امركم ويثبت صيتكم واثاركم في اقطار الارض من قولهم بت
الحكم كذا حتى سطع الفرقان اى طلع الفجر او مخرجا من الشبهات وتوفيقا وشرح الصدور
او تفرقة بينكم وبين غيركم من اهل الاديان وفضلا ومزية في الدنيا والاخرة لما فتح
الله عليه ذكر مكر قريش حين كان بمكة ليذكر نعمة الله في نجاته من مكرهم واستيلائه
عليهم وما اناح الله له من حسن العاقبة والمعنى واذ يمكر بك الذين كفروا
ليسبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير
الماكرين واذكر اذ يمكرون بك وذلك ان قريشا لما اسلمت الانصار وبايعوه
فرقوا ان يتفاقم امره فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم
ابليس في صورة شيخ فقال انا شيخ من نجد ما انا من تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم
فاردت ان احضركم ولم تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري رايي ان تحبسوه
في بيت وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون
فقال ابليس بئس الراى ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام
بن عمرو راى ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع
واستحسنه فقال ابليس الراى يفسد قومكما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل
اني ارى ان نأخذ من كل بطن غلاما ونعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة

رجل واحد فيتفرق دمه في القبايل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا
طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو اجودكم رايا
فتفرقوا على راى ابى جهل مجمعين على قتله واخبر جبريل رسول الله ص وامره ان لا
يبيت فى مضجعه واذن له الله فى الهجرة فامر امير المؤمنين عليا رضى الله عنه
فنام فى مضجعه فقال له اتشح ببردى فانه لن يخلص اليك امر تكرهه وباتوا صدرا من
فلما اصبحوا ثاروا الى مضجعه فابصروا عليا فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا
اثره فابطل مكرهم ليثبتوك ليسجنوك او يوثقوك او يخنوك بالضرب
والجرح من قولهم ضربوه حتى اثبتوه لا حراك به ولا براح وفلان مثبت وجعا
وقرئ ليثبتوك بالتشديد وقرا النخعى ليبيتوك من البيات وعن ابن عباس
ليقيدوك وهو دليل لمن فسره بالايثاق ويمكرون ويخفون المكايد له
ويمكر الله ويخفى اليه ما اعدلهم حتى يأتيهم بغتة والله خير الماكرين اى كل ينفذ
من مكر غيره وابلغ تاثيرا ولانه لا ينزل الا ما هو حق وعدل ولا يصيب الا بما هو
مستوجب واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل
هذا ان هذا الا اساطير الاولين لو نشا القلنا مثل هذا تفاجئة منهم
وصلف تحت الراعدة فانهم لم يتوانوا فى مشيتهم لو ساعدتهم الاستطاعة
والا فما منعهم ان كانوا مستطيعين ان يشاوا غلبة من تحراهم وقوعهم بالنجز
حتى يفوزوا بالقدح المعلى دون زمع فرط انفتهم واستنكافهم ان يغلبوا فى
باب البيان خاصة وان يماثلهم واحد فيقعدوا بامتناع المشية ومع ما علم
وظهر ظهور الشمس من حرصهم على ان يقهروا رسول الله ص وهاكهم
على ان يغروه وقيل قايله النضر بن الحارث المقتول صبرا حين سمع اقتصاص الله
احاديث القرون لو شئت لقلت مثل هذا وهو الذى جاء من بلاد فارس بنسخه

حديث رستم واسفنديار فزعم ان هذا مثل ذاك وانه من جملة تلك الاساطير
وهو القايل واذ قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر
علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ان كان هذا هو الحق وهذا
اسلوب من الجحود بليغ يعني ان كان القران منكرا عذابا فكان تعليق
العذاب بكونه حقا مع اعتقاده انه ليس بحق كتعليقه بالمحال في قولك ان كان
الباطل حقا فامطر علينا غير فصل في القراءة الاولى فصل ويقال امطرت
السماء كقولك انجمت واسبلت ومطرت كقولك هتنت وهتلت وقد كثر
الامطار في معنى العذاب فان قلت ما فايدة قوله من السماء والامطار
لا تكون الا منها قلت كانه اريد ان يقال فامطر علينا السجيل وهي الحجارة
المسومة للعذاب فوضع حجارة من السماء موضع السجيل كما تقول صب عليه
سوطا من حديد تريد به عذابا اليما اى نوعا آخر من جنس العذاب
الاليم يعني ان امطار السجيل بعض العذاب الاليم فعذبنا به او نوعا آخر من
انواعه وعن مسعوية انه قال لرجل من سباء ما اجهل قومك حين ملكوا
عليهم امراة قال اجهل من قومي قومك حين قالوا لرسول الله صلى الله عليه
واله وسلم حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اللام لتاكيد النفي و
الدلالة على ان تعذيبهم وانت بين اظهرهم غير مستقيم في الحكمة لان عادة
الله وقضيته ان لا يعذب قوما عذاب استيصال ما دام نبيهم بين اظهرهم
وفيه اشعار بانهم مصدودون بالعذاب ذاهاجر عنهم والدليل على هذا
الاشعار قوله وما لهم الا يعذبهم وانما يصح هذا بعد اثبات التعذيب كانه

قال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم وما لهم الا يعذبهم
وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا اولياءه
ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون وهم يستغفرون
في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم اي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر
من الكفر لما عذبهم كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون
ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون ولا يتوقع ذلك منهم وقيل معناه وما كان
الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين اظهرهم ممن تخلف عن هجرة
الله صم من المستضعفين وما لهم الا يعذبهم الله واي شيء لهم في انتفاء العذاب
عنهم يعني لا حظ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة وكيف لا يعذبون وحالهم
انهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله صم عام الحديبية واخراجهم
رسول الله صم والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد
من نشاء وندخل من نشاء وما كانوا اولياءه وما استحقوا مع اشراكهم وصدادهم
للذين ان يكونوا ولاة امره وارباب ان اولياؤه الا المتقون من المسلمين ليس
كل مسلم ايضا ممن يصلح لان يلي امره انما يتناهل ولايته من كان برا تقيا فكيف بالكفرة
وعبدة الاصنام ولكن اكثرهم لا يعلمون كانه استثنى من كان يعلم وهو يعاند و
يطلب الرياسة واراد بالاكثر الجميع كما يرد بالقلة العدم وما كان صلوتهم عند البيت
الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون المكاء فعال بوزن
الثغاء والزغام من مكا يمكو اذا صفر ومنه المكاء كانه سمي بذلك لكثرة مكايه واصله
الصفير نحو الرغاء والقغاء وقرئ مكابا القصر ونظيرهما البكا والبكاء والتصدية التصفيق
تفعله من الصدى او من صد يصد اذا قومك منه يصدون وقراء الاعمش وما كان
صلوتهم بالنصب على تقديم خبر كان على اسمها فان قلت ما وجه هذا الكلام قلت هو من قولك

شعر وما كنت اخشى ان يكون عطاؤه اذاهم سوطا او محدد جرسما والمعنى انه وضع
القيود والسياط موضع العطاء ووضعوا المكاء والتصدية موضع الصلوة ذلك انهم
كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء ويكون بين اصابعهم يصفرون فيها
ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في
صلوته يخلطون عليه فذوقوا عذاب القتل والاسر يوم بدر بسبب كفركم وافعالكم التي
لا يقدم عليها الا الكفرة ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله
فسينفقونها ثم تكون قيل نزلت في المطعمين يوم بدر كان يطعم كل واحد منهم كل يوم
عشر جزائر وقيل قالوا لو الكل من كانت له تجارة في العير اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا
ندرك منه ثارنا بما اصيب منا ببدر وقيل نزلت في ابي سفيان وقد استاجر يوم احد بالفين من
الاحابيش سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية والاوقية اثنان واربعون
مثقالا ليصدوا عن سبيل الله اى كان غرضهم في الانفاق الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله
وان لم يكن عندهم كذلك ثم تكون عليهم حسرة اى تكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة
فكان ذا نفقتهم ندما وتنقلب حسرة ثم يغلبون آخر الامر وان كان الحرب بينهم
وبين المؤمنين سجالا قبل ذلك فيرجعون طلقاء عليهم حسرة ثم يغلبون والذين
كفروا الى جهنم يحشرون كتب الله لاغلبن انا ورسلي والذين كفروا والكافرون
منهم الى جهنم يحشرون لان منهم من اسلم وحسن اسلامه ليميز الله الخبيث من
الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم اولئك
هم الخاسرون ليميز الله الخبيث من الكفار من الفريق الطيبين من المؤمنين
فيجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا عبارة عن الجمع والضم حتى يتركبوا
كقوله كادوا يكونون عليه لبدا يعني لفرط ازدحامهم اولئك اشارة الى الفريق
الخبيث وقيل ليميز المال الخبيث الذي انفقه المشركون في عداوة رسول الله ص

من المال الطيب الذي انفقه المسلمون كابي بكر وعثمان رضي الله عنهما في نصرته
فيرهم فيجعله في جهنم في جملة ما يعذبون به كقوله فتكوى بها جباههم وجنوبهم
الابر واللام على هذا متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وعلى الاول بحشرون
واولئك اشارة الى الذين كفروا وقرئ ايمز على التخفيف قل للذين كفروا
ان ينتهوا يغفر لكم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين
قل الذين كفروا من ابي سفين واصحابه اي قل لاجلهم هذا القول وهو ان ينتهوا
ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل ان ينتهوا يغفر لكم وهي في قراءة ابن مسعود وفحوى
وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه خاطبوا بذلك غيرهم لاجلهم
يسمعوه اي ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة الرسول وقتاله بالدخول في الاسلام
يغفر لهم ما قد سلف لهم من العداوة وان يعودوا لقتاله فقد مضت سنة الاولين
منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر او فقد مضت سنة الذين تحزبوا على انبيائهم
من الامم فدمروا فليتوقعوا مثل ذلك ان لم ينتهوا وقيل معناه ان الكفار اذا
انتهوا عن الكفر واسلموا غفر لهم ما سلف لهم من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما
الشعرة من العجين ومنه قوله صه الاسلام يجب ما قبله وقالوا الحربي اذا اسلم
لم يبق عليه تبعة قط واما الذمي فلا يلزمه قضاء حقوق الله وبقي عليه حقوق
الادميين وبه اخذ ابو حنيفة رحمه الله في ان المرتد اذا اسلم لم يلزمه قضا العبادات
المتروكة في حال الردة وقبلها وقرئ ان يعودوا بالارتداد وقرئ يغفر لهم على
ان الضمير لله عز وجل قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله
لله فان انتهوا فلن الله بما يعملون بصير وان تولوا فاعلموا ان الله
مولاكم نعم المولى ونعم النصير وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة اي الى ان لا
يوجد فيهم شرك قط ويكون الدين كله لله ويضمحل عنهم كل دين باطل ويفنى

فيهم دين الاسلام وحثه فان انتهوا عن الكفر واسلموا فان الله بما يعملون بصير
يثيبهم على نوبتهم واسلامهم قرئ تعملون بالتا فيكون المعنى فان الله بما تعملون
من الجهاد في سبيله والدعوة الى دينه والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الاسلام
بصير يجازيكم عليه احسن الجزاء وان تولوا ولم تنتهوا فان الله مولاكم اى ناصركم
ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه
وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم
امنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان
والله على كل شئ قدير ان ما غنمتم ما موصولة من شئ بيانه قيل من شئ بيانه
قيل من شئ حتى الخيط والمخيط فان لله مبتدا خبره محذوف تقديره فحق او فواجب
ان لله خمسه وروى الجعفى عن ابى عمر فان لله بالكسر وبتقدير قراءة النخعى فلله
خمسه والمشهور اكدوا واثبت للايجاب كما مر قيل فلا بد من ثبات الخمس فيه
ولا سبيل الى خلاله والتفريط فيه من جنايته اذا احذ الخز واحتمل غير واحد
من المقدرات كقولك ثابت واجب حتى لا ارتم وما اشبه ذلك كان اقوى لايجابه
من النص على واحد وقرئ خمسة بالسكون فان قلت كيف قسمة الخمس قلت عند
ابى حنيفة انها كانت فى عهد رسول الله ص على خمسة اسهم سهم لرسول الله ص
وسهم لذوى قرباه من بنى هاشم وبنى المطلب دون بنى عبد شمس وبنى نوفل
استحقوه حينئذ بالنصرة والمظاهرة لما روى عن عثمان وجبير بن مطعم رضى الله
عنهما انهما قالا لرسول الله ص هولاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك
الذى جعلك الله منهم ارايت اخواننا بنى المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن
وهم بمنزلة واحدة فقال ص انهم لم يفارقونا فى جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم
وبنو المطلب شئ واحد وشبك بين اصابعه وثلثه اسهم لليتامى والمساكين

وابن السبيل واما بعد رسول الله ص فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى
وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة سائر الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على اليتامى
والمساكين وابن السبيل واما عند الشافعي رحمه الله فقرهم اسوة سائر الفقراء ولا
يعطى اغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل واما عند الشافعي
على خمسة اسهم سهم لرسول الله ص يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح
المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوي القربى
من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين والباقي للفرق
الثلث وعند مالك الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان راى قسمه بين هؤلاء
وان راى اعطاه بعضهم دون البعض وان راى غيرهم اولى واهم فغيرهم
فان قلت ما معنى ذكر الله وعطف الرسول وغيره عليه قلت يحتمل ان يكون
معنى لله والرسول لرسول الله كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان
يراد بذكره ايجاب سهم سادس يصرف الى وجه من وجوه القرب وان يراد
بقوله فان لله خمسه من حق الخمس ان يكون متقربا به اليه لا غير ثم خص من
وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله وجبريل وميكائيل
فعلى الاحتمال الاول مذهب الامامين وعلى الثاني ما قال ابو العالية انه
يقسم على ستة اسهم سهم الله تعالى يصرف الى مرتاج الكعبة وعنه كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ياخذ الخمس فيضرب بيده فيه فياخذ منه قبضة فيجعلها
للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم ما بقي على خمسه وقيل ان سهم الله لبيت المال
وعلى الثالث مذهب مالك بن انس وعن ابن عباس انه كان يقسم على ستة
لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض فاجرى ابو بكر رضي الخمس على ثلثة
وكذلك روي عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروي ان ابا بكر منع بني هاشم

الخمس وقال انما لكم ان يعطى فقيركم ويزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم
فاما المعنى منكم فهو بمنزلة ابن سبيل عنى لا يعطى من الصدقة شيئا ولا يتيم موسر
وعن زيد بن على رضى الله عنهما كذلك قال ليس لنا ان ننبئ منه فصورا ولا ان
نركب منه البراذين وقال الخمس كله للقرابة وعن على رضى الله عنه انه قيل له
ان الله تعالى قال واليتامى والمساكين فقال ايتامنا ومساكيننا وعن الحسن
فى سهم رسول الله صلعم انه لولى الامر من بعده وعن الكلبى ان الاية نزلت بدرا
وقال الواقدى كان الخمس فى غزوة بنى قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام
للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة فان قلت بم تعلق قوله
ان كنتم امنتم بالله قلت بمحذوف يدل عليه واعلموا المعنى ان كنتم امنتم
بالله فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه اطماعكم
واقنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد بالعلم العلم المجرد ولكنه العلم
المضمن بالعمل والطاعة لامر الله لان العلم المجرد يستوى فيه المؤمن والكافر
وما انزلنا معطوف على بالله اى ان كنتم امنتم بالله وبالمنزل على عبدنا وقوى
عبدنا كقوله وعبد الطاغوت بضمتين يوم الفرقان يوم بدر والجمعان
الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما انزل عليه من الايات و
الملئكة والفتح يوم بدر والله على كل شئ قدير يقدر على ان ينصر القليل
على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم اذ انتم بالعدوة
الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب اسفل منكم ولو تواعدتم
لاختلفتم فى الميعاد ولكن ليقضى الله امرا كان مفعولا اذ بدل من يوم
الفرقان والعدوة شط الوادى بالكسر والضم والفتح وقرئ من وبالعدوة
على قلب الواو ياء لان بينها وبين الكسرة حاجزا غير حصين كما فى الصبية والدنا

والقصوى

والقصوى تانيث الادنى والاقصى فان قلت كلتاهما فعلى من ذوات
الواو ياء فلما جاءت احديهما بالياء والثانية بالواو قلت القياس هو قلب
الواو ياء كالعليا واما القصوى فكالقود في مجيئه على الاصل وقد جاء
استعمال القصوى اكثر كما ان اكثر استعمال استصوب مع مجئ استصاب و
مع اغالت واعيلت والعدوة الدنيا مما يلي المدينة والقصوى مما يلي مكة والركب
اسفل منكم يعني الركب الاربعين الذين كانوا يقودون العير اسفل منكم
بالساحل واسفل نصب على الظرف معناه مكانا اسفل من مكانكم وهو
مرفوع المحل لانه خبر للمبتدا فان قلت ما فايدة هذا التوقيت وذكر مكان
الفريقين وان العير كانت اسفل منهم قلت الفايدة فيه الاخبار عن
الحال الدالة على قوة شان العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهد
اسباب الغلبة له وضعف شان المسلمين والثبات امرهم وان غلبتهم
في مثل هذه الحال ليست الا صغا من الله ودليلا على ان ذلك امر لم
يتيسر الا بحوله وقوته وباهر قدرته وذلك ان العدوة القصوى
التي اناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت ارضا لا باس بها ولا
بالعدوة الدنيا وهي خبار تسوخ فيها الارجل ولا يمشي فيها الا بتعب
ومشقة وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم فكانت
الحامية دونها اضعاف حمايتهم وتشجد في المقاتلة عنها يأتهم ولهذا
كانت العرب تخرج الى الحرب بطعنهم واموالهم ليبعثهم الذب عن الحريم
والغيرة على الحرم على بذل مجهوداهم في القاتل ولان لا يتركوا وراءهم
ما يجدون انفسهم بالانحياز اليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط
شتاتهم ويوطن نفوسهم على ان لا يبرحوا اماكنهم ويبذلوا مهجهم دون

وقصارى شدتهم وفيه تصوير ما دبر سبحانه من امر وقعة بدر ليقضي
الله امرا كان مفعولا من اعزاز دينه واعلاء كلمته حين وعد المسلمين
احدى الطائفتين مبهمة غير مبينة حتى خرجوا لياخذوا العير راعين
في الخروج وشخص بقريش مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول الله ص
لاموالهم حتى تفرقوا ليمنعوا عيرهم وسبب الاسباب حتى اناخ هؤلاء
بالعدوة الدنيا وهؤلا بالعدوة القصوى ووراءهم العير يحامون
عليها حتى قامت الحرب على ساق وكان ما كان ولو تواعدتم انتم
واهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال لخالف
بعضكم بعضا فبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وتبطهم
ما في قلوبهم من رهيب رسول الله ص والمسلمين فلم تتفق لكم
من المتلاقي ما وقفه الله وسبب له ليقضي متعلق بمحذوف اي ليقضي
امرا كان واجبا ان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه دبر ذلك
لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ
عَلِيمٌ وقوله ليهلك بدل منه واستعير الهلاك والحياة للكفر
والاسلام اي ليصدر كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة حتى
لا يبقى له على الله حجة ويصدر اسلام من اسلم ايضا عن يقين وعلم بأن
دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان ما كان
من وقعة بدر من الايات العرا المجللة التي من كفر بعدها كان مكابرا
لنفسه بمغالطاها وقرئ ليهلك بفتح اللام وجيء باظهار التضعيف
لسميع عليم يعلم كيف يدبر اموركم ويسوي مصالحكم او لسميع عليم كفر
من كفر وعقابه وبايمان من امن وثوابه إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ

قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن
الله سلم انه عليم بذات الصدور اذ يريكهم الله نصبه باضمار
ذكر او هو بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بقوله لسميع عليم
اى يعلم المصالح اذ يقللهم في عينيك في منامك في رويك وذلك
ان الله سبحانه اراهم اياه في رويه قليلا فاخبر بذلك اصحابه وكان
تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وعن الحسن في منامك في عينك لا
مكان للنوم كما قيل للقطيفة المنامة لانه ينام فيها وهذا تفسير فيه
تعسف وما احسب الرواية فيه صحيحة عن الحسن وما يلايم علمه بكلام
العرب وفصاحته لفشلتم لجبنتهم وهيبتهم الاقدام ولتنازعتم في
الراى وتفرقتم فيما تصنعون كلكم وترجحتم بين الثبات والفرار
ولكن الله سلم اى عصم وانعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف
انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها من الجراة والجبن والصبر
والجزع وَاِذْ يُرِيكُمُوهُمْ اِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي اَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ
فِي اَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللّٰهُ اَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَاِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْاُمُورُ
واذ يريكموهم الضميران مفعولان يعني واذ يبصركم اياهم وقليلا
نصب على الحال وانما قللهم في اعينهم تصديقا لرويا رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم ليعاينوا ما اخبرهم به فيزداد يقينهم ويحدث
ويثبتوا قال ابن مسعود لقد قللوا في اعيننا حتى اني قلت لرجل الى جنبي
قائل منهم انما اكلة جزور فان قلت الغرض في تقليل الكفار في اعين
المؤمنين ظاهر فما الغرض في تقليل المؤمنين في اعينهم قلت قد قللهم
في اعينهم قبل التقاء ثم كثرهم فيما بعده ليجترئوا عليهم قلة مبالاة بهم ثم

نجباؤهم الكثرة فيهتوا ويهابوا ونقل شوكتهم حين يروز ما لم يكن
في حسابهم وتقديرهم وذلك قوله تروهم مثليهم راى العين دليلا
يستعدوا لهم وليعظم الاحتجاج عليهم في استيضاح الايات البينة
من قتلهم اولا وكثرتهم اخرا فان قلت باى طريق يبصرون الكثير
قليلا قلت بان يسترالله عنهم بعضه بساترا ويحدث في عيونهم
ما يستقلون له الكثير كما احدث في اعين الحول ما يرون له الواحد
اثنين قيل لبعضهم ان الاحوال يرى الواحد فقال فالى لا ارى
هدين الديكين اربعة يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة
فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون اذا لقيتم فئة اذا
حاربتم جماعة من الكفار ترك ان يصفها لان المؤمنين ما كانوا
يلقون الا الكفار واللقاء اسم للقتال غالب فاثبتوا لقتالهم
ولا تفروا واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب مستظهرين بذكره
مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع
دابرهم لعلكم تفلحون لعلكم تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة
وفيه اشعار بان على العبد ان لا يفتر عن ذكر ربه اشغل ما يكون
قلبا واكثر ما يكون صماما وان تكون نفسه مجتمعة لذلك وان كان
متوزعة عن غيره وناهيك بما في خطب امير المؤمنين رضى الله عنه
في ايام صفين وفي مشاهد مع البغاة والخوارج من البلاغة
البالغة ولطايف المعاني وبليغات المواعظ والنصايح دليلا على انهم كانوا
لا يشغلهم عن ذكر الله شاغل وان تفاقم واطيعوا الله ورسوله
ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع

الصابرين ولا تنازعوا قرى بتشديد التا لتفشلوا منصوب
باضمار ان مجزوم لدخوله فى حكم النهى وتدل على التقديرين قراة
من قرا وتذهب ريحكم بالنا والنصب وقراة حمى قرا ويذهب ريحكم
باليا والجزم والريح الدولة شبهت فى نفوذ امرها وتمشيه بالريح
وهبوبها فقيل هب رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ امره
ومنه قوله شعر انتظار ان قليلا ريث غفلتهم ان يقعدوا ان فان الريح للعاصف
قيل لم يكن قط نصر الا بريح بعثها الله وفى الحديث نصرت بالصبا واهلكت
عاد بالدبور حذرهم بالنهى عن التنازع واختلاف الراى نحو ما وقع لهم
باحد لمخالفتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من فشلهم وذهاب ريحهم
وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ
وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ كالذين خرجوا
من ديارهم هم اهل مكة حين نفروا لحماية العير فاتاهم رسول ابى سفيان
وهم بالجحفة ان ارجعوا فقد سلمت غيركم فاتى ابو جهل وقال حتى
نقدم بدرا ننحر بها الجزور ونعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا
من العرب فذلك بطرهم ورياؤهم الناس باطعامهم فوافوها فسقوا
كووس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوايح مكان القيان فهاكم
ان يكونوا امثالهم بطرين مرائين باعمالهم وان يكونوا من اهل
التقوى والكابة والحزن من خشية الله مخلصين اعمالهم لله وَإِذْ زَيَّنَ
لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ
وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ
إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ

شَدِيدُ الْعِقَابِ واذكر اذ زين لهم الشيطان اعمالهم التي عملوها
في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسوس اليهم انهم لا
يغلبون ولا يطاقون واوهمهم ان اتباع خطوات الشيطان وطاعته
مما يجيرهم فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم اى بطل كيده
حين نزلت جنود الله وكذا عن الحسن كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم
يتمثل لهم وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت التي بينها وبين
بني كنانة من الحرب وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس في صورة
سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكناني وكان من اشرافهم في
جند من الشيطان معه رايته وقال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم
من بني كنانة فلما راى الملائكة تنزل كنص وقيل كانت يده في يد الحارث
بن هشام فلما نكص قال له الحرث الى اين اتخذلنا في هذه الحال اتاري
ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وان هزموا فلما بلغوا
مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت
بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وفي الحديث
ما روى ابليس يوما اصغر ولا ادحر ولا اغيظ من يوم عرفة لما يرى
من نزول الرحمة الا ما رأى يوم بدر فان قلت هلا قيل لا غالب لكم
كما يقال لا ضارب زيدا عندنا قلت لو كان لكم مفعولا لغالب بمعنى لا غالبا
اياكم لكان الامر كما قلت ولكنه خبر تقديره لا غالب كائن لكم اذ يَقُولُ
الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ
عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ اذ يقول المنافقون بالمدينة والذين
في قلوبهم مرض يجوز ان يكون من صفة المنافقين وان يراد الذين هم

على حرف ليسوا ثابتي الاقدام في الاسلام وعن الحسن هم المشركون
عزهولاء دينهم يعنون ان المسلمين اغتروا بدينهم وانهم يتقون به
وينصرون من اجله فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف
ثم قال جوابا لهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز غالب يسلط القليل
الضعيف على الكثير القوى ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة
يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك
بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد ولو ترى ولو
عاينت وشاهدت لان لو ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان
الماضي الى معنى الاستقبال واذا نصب على الظرف وقرئ يتوفى
بالياء والتاء والملائكة رفعها بالفعل ويضربون حال منهم ويجوز
ان يكون في يتوفى ضمير الله تعالى والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون
خبره وعن مجاهد ادبارهم اشاههم ولكن الله كريم يكني واما خصوها
بالضرب لان الخزي والنكال في ضربهما اشد وابلغ وعن اهل اليمن
ان عقوبة الزاني عندهم ان يصبر ثم يعطى الرجل القوى البطش شيأ
عمل من حديد كهيئة الطبق فيه رزانة وله مقبض فيضربه على دبره ضربة
واحدة بقوته فيجد في مكانه وقيل يضربون ما اقبل منهم وما ادبر
وذوقوا معطوف على يضربون على ارادة القول اى ويقولون
ذوقوا عذاب الحريق كلما نضجت بولها التهبت نارا ويقال لهم
يوم القيمة ذوقوا وجواب لو محذوف اى لرايت امرا فظيعا منكرا
ذلك بما قدمت ايديكم يحتمل ان يكون كلام الله ومن كلام الملائكة
وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره وان الله عطف عليه اى ذلك

العذاب بسببين بسبب كفرهم ومعاصيهم وبان الله ليس بظلام
للعبيد لان تعذيب الكفار من العدل كاثابة المؤمنين وقيل ظلام
للتكثير لاجل العبيد اولان العذاب من العظم بحيث لولا استحقاق
لكان المعذب بمثله ظلاما بليغا الظلم متفاقمه كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ
وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ
شَدِيدُ الْعِقَابِ الكاف في محل الرفع اى داب هؤلاء مثل داب
ال فرعون وداب هم عادتهم وعلمهم الذى دابوا فيه اى داوموا عليه
واظبوا وكفروا تفسير كداب ال فرعون وذلك اشارة الى ما حل بهم
يعنى ذلك العذاب او الانتقام بسبب ان الله لم يكن له ولم يصح في حكمه
ان يغير نعمته عند قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال فان قلت فما كان
من تغيير ال فرعون ومشركى مكة حتى غير الله نعمته عليهم ولم تكن لهم
حال مرضية فيغيروها الى حال مسخوطة قلت كما تغير الحال المرضية الى
المسخوطة تغير الحال المسخوطة الى اسخط منها واولئك كانوا قبل بعثة
الرسول اليهم كفرة عبدة اصنام فلما بعث اليهم بالايات البينات
فكذبوه وعادوه وتحزبوا عليه ساعين في اراقة دمه غيروا حالهم الى
اسوء ما كان فغير الله ما انعم به عليهم من الامهال وعاجلهم بالعذاب
وان الله سميع لما يقول مكذبوا الرسل عليهم بما يفعلون كَدَأْبِ
آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ
بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ كداب ال فرعون
تكرير وفى قوله بايات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق
وفى ذكر الاعراق وبيان للاخذ بالذنوب وكل كانوا ظالمين وكلهم في

ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم وان الله سميع عليم

غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي ان
شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين
كفروا فهم لا يؤمنون اى اجروا على الكفر ولجوا فيه فلا يتوقع منهم
ايمان وهم بنو قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
لا يمالؤا عليه فنكثوا بان اعانوا مشركي مكة بالسلاح وقالوا نسينا
واخطأنا ثم عاهدهم فنكثوا ومالوا مع الاحزاب يوم الخندق وانطلق كعب
بن الاشرف الى مكة فحالفهم الذين عاهدت منهم ثم ينقضون
عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون الذين عاهدت منهم بدل من الذين
كفروا اى الذين عاهدتهم من الذين كفروا واجعلهم شر الدواب
لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم وشر المصرين
الناكثون للعهود وهم لا يتقون لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون
بما فيه من العار والنار فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم
لعلهم يذكرون فاما تحتفنهم تصادفنهم وتظفرن بهم
فشرد بهم من خلفهم فرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر
قتلة والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم
احدا عتبارا بهم ولغاظا بحالهم وقرأ ابن مسعود فشرذ بالذال المعجمة
بمعنى فرق فكانه مقلوب شذر من قولهم ذهبوا شذر مذر ومنه
الشذر الملتقط من المعدن لتفرقه وقرأ ابو حيوة من خلفهم ومعناه
فافعل التشريد من وراءهم لانه اذا شرد الذين وراءهم فقد فعل
التشريد فيمن فيه الوراء واوقعه فيه لان الوراء جهة المشردين فاذا
جعل الوراء ظرفا للتشريد فقد دل على تشريد من فيه فلم يبق فرق

بين القراتين لعلهم يذكرون لعل المشردين من ورايهم يتعظون
وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْخَائِنِينَ واما تخافن من قوم معاهدين خيانة ونكثا بامارات
تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم العهد على سواء على طريق مستو
قصد وذلك ان تظهر لهم نبذ العهد وتخبرهم اخبارا مكشوفا بينا
انك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد
فيكون ذلك خيانة منك ان الله لا يحب الخائنين فلا يكن منك اخفاء نكث
العهد والخداع وقيل على استواء في العلم بنقض العهد وقيل على استواء
في العداوة والجار والمجرور في موضع الحال كانه قيل فانبذ اليهم نابذا
على طريق قصد سوى او حاصلين على استواء في العلم او العداوة على
انها حال من النابذ والمنبوذ اليهم وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا
إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ
الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ
لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ
إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ سبقوا فاتوا وفلتوا من ان يظفر بهم
انهم لا يعجزون انهم لا يفوتون ولا يعجزون طالبهم عاجزا عن ادراكهم
وقرئ انهم بالفتح بمعنى لانهم كل واحدة من المكسورة والمفتوحة
من المكسورة والمفتوحة تعليل الا ان المكسورة على طريقة الاستيناف
والمفتوحة تعليل صريح وقرئ يعجزون بالتشديد وقرا ابن محيص
يعجزون بكسر النون وقرا الاعمش ولا تحسبن الذين كفروا بكسر الباء
وبفتحها على حذف النون الخفيفة وقرا حمزة ولا يحسبن بالياء على ان

IMPERIAL LIBRARY

الفعل للذين كفروا وقيل فيه اصله ان سبقوا فحذفوا ان كقوله
ومن ايا تريكم البرق واستدل عليه بقراءة بن مسعود انهم سبقوا
وقيل وقع الفعل على انهم لا يعجزون على ان الاصلة وسبقوا في محل
الحال بمعنى سابقين اى مفلتين هاربين وقيل معناه ولا يحسبنهم
الذين كفروا اسبقوا فحذف الضمير لكونه مفهوما وقيل ولا يحسبن
في هذين الذين كفروا اسبقوا وهذه الاقاويل كلها متحلة وليست
هذه القراءة التي تفرد بها حمزة بتبرة وعن الزهري انها نزلت فيمن افلت
من فل المشركين من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها وعن
عقبة بن عامر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر
الا ان القوة الرمي قالها ثلثا ومات عقبة عن سبعين قوسا في سبيل
الله وعن عكرمة هي الحصون والرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله
ويجوز ان تسمى بالرباط التي هي بمعنى الرابطة ويجوز ان يكون جمع
ربيط كفصيل وفصال وقرأ الحسن ومن ربط الخيل بضم الباء وسكونها
جمع رباط ويجوز ان يكون قوله ومن رباط الخيل تخصيصا للخيل
من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكائيل وعن ابن سيرين انه سئل
عمن اوصى بثلث ماله في الحصون فقال تشترى به الخيل فترابط في سبيل
الله ويغزى عليها فقيل له انما اوصى في الحصون فقال الم تسمع قول
الشاعر شعر ان الحصون الخيل لا مدر القرى ترهبون قرئ بالتخفيف
والتشديد وقرأ ابن عباس ومجاهد تجزون به والضمير في به راجع
الى ما استطعتم عدو الله وعدوكم هم اهل مكة واخرين من دونهم
هم اليهود وقيل المنافقون وعن السدى هم اهل فارس وقيل كفرة

الجن وجاء في الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا
فيها فرس عتيق وروى ان صهيل الخيل يرهب الجن وان جنحوا للسلم
فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم جنح له واليه اذا
مال والسلم يرنث تانيث نقيضها وهي الحرب قال شمر السلم تاخذ
ما رضيت به والحرب تكفيك من انفسها جرع وقرئ بفتح السين
وكسرها وعن ابن عباس ان الاية منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين
لا يؤمنون بالله وعن مجاهد بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
والصحيح ان الامر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام واهله
من حرب او سلم وليس بحتم ان يقاتلوا ابدا او يجابوا الى الهدنة ابدا
وقرا الاشهب العقيلي فاجنح بضم النون وتوكل على الله ولا تخف من
ابدانهم المكر في جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم
وخديعتهم قال مجاهد يريد قريظة وان يريدوا ان يخدعوك
فان حسبك الله هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين والف
بين قلوبهم لو انفقت فان حسبك الله فان محسبك الله قال
جرير شعرا
لشعوا
الى وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا حر الثياب و
والف بين قلوبهم التاليف بين قلوبهم من بعث اليهم رسول الله ص
من الايات الباهرة لان العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء
على الضغينة في ادنى شيء والقاء بين اعينهم الى ان ينتقموا الانكاد
يا تلف فيهم قلبان ثم ايتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله صلى الله عليه
وسلم واتحدوا وان شاوا يرمون عن قوس واحدة وذلك لما نظم
الله من الفتهم وجمع بين كلمتهم واحدث بينهم من التحاب والتواد

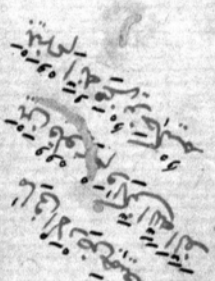

ولعاط

ولما طعنهم من التباغض والتماقت وكلفهم من الحب في الله والبغض
في الله ولا يقدر على ذلك الا من يملك القلوب فهو يقلبها كيف شاء
ويصنع فيها ما اراد وقيل لهم الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب
والوقايع ما اهلك سادتهم وروساءهم ودق جماجمهم ولم يكن
لبغضايهم مامد ومنتهى وبينهما التجاور الذى هيج الضغاين وديم
التحاسد والتنافس وعادة كل طايفتين كانتا هذه المثابة ان يتجنب هذه
هذه ما اثرتر اختها ويكرهه وتنفر عنه فانساهم الله ذلك كله حتى اتفقوا
على الطاعة وتصافوا وصاروا اعوانا وعادوا اخوانا وما ذلك
الا بتصيف صنعه وبليغ قدرته يا ايها النبى حسبك الله ومن اتبعك
من المؤمنين ومن اتبعك الواو بمعنى مع وما بعده منصوب بقوله
حسبك وزيد درهم ولا يجر لان عطف الظاهر المجرور على المكنى ممتنع
قال شعر فحسبك والضحاك عضب مهند والمعنى كفاك وكفا
اتباعك من المومنين الله ناصرا او يكون فى محل الرفع اى كفاك الله
وكفاك المومنون وهذه الاية نزلت بالبداء عن غزوة بدر قيل
القتال وعن ابن عباس نزلت فى اسلام عمر رضى الله عنه وعن سعيد
ابن جبير انه اسلم مع النبى صلى الله عليه وسلم ثلثة وثلثون رجلا
وست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت يا ايها النبى حرض المومنين على
القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مايتين وان يكن
منكم مايه يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون
التحريض المبالغة فى الحث على الامر من الحرض وهو ان ينهكه المرض
ويتبالغ فيه حتى يشفى على الموت او ان يسميه حرضا ويقول له ما اراك

الاحرضا فى هذا الامر وممن ضافيه ليهجه ويحرك منه وقرئ حرض بالصاد
غير معجمة حكاها الاخفش من الحرض ويقال حركه وحرضه وحرشه وحرّ
بمعنى وهذه عدة من الله وبشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا
غلبوا عشرة امثالهم من الكفار بعون الله وتاييده ثم قال بانهم
قوم لا يفقهون اى بسبب ان الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير
احتساب وطلب ثواب كالبهايم فيقل ثباتهم بعد مصابرتهم
بالله نصرته ويستحقون خذلانه خلاف من يقاتل على بصيرة ومعه
ما يستوجب به النصر والاظهار من الله وعن ابن جريج كان عليهم
ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعث حمزة فى ثلثين راكبا فلقى ابا جهل فى ثلثمائة راكب فمنعهم
ثم يقل عليهم ذلك وصيحوا منه وذلك بعد مدة طويلة فنسخ وخفف عنهم
بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فى الابتدا فلما كثروا نزل
ما التخفيف وقرئ ضعفا بالفتح والضم كالمكث والمكث والفقر وضعفا جمع
ضعيف وقرئ الفعل المسند الى المائة بالياء والتاء فى الموضعين والمراد
بالضعف الضعف فى البدن وقيل فى البصيرة والاستقامة فى الدين
وكانوا متفاوتين فى ذلك فان قلت لم كرر المعنى الواحد وهو مقاومة
الجماعة لاكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده قلت للدلالة على ان الحال
مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت لان الحال قد تتفاوت بين
مقاومة العشرين المائتين والمائة الالف وكذلك بين معاوضة
المائتين والالف الالفين قرئ للنبى صلى الله عليه وسلم على التعريف
واسارى وبخمز بالتشديد ومعنى الاثخان كثرة القتل والمبالغة

الآن خفف الله عنكم وعلم
أن فيكم ضعفا فان يكن منكم
مائة صابرة يغلبوا مائتين
وان يكن منكم الف يغلبوا
الفين باذن الله والله مع
ما كان لنبي ان يكون له
أسرى حتى يثخن في الارض
تريدون عرض الدنيا والله
يريد الاخرة والله عزيز حكيم

فيه من قولهم اثخنته الجراحات اذا اثبتته حتى ثقل عليه الحركة واثخنه
المرض اذا اثقله من التخانة التي هي الغلظ والكثافة يعني حتى يذل
الكفر ويضعفه باشاعة القتل في اهله وبغز الاسلام ويقويه
بالاستيلاء والقهر ثم الاسر بعد ذلك ومعنى ما كان ماصح له وما
استقام وكان هذا يوم بدر فلما كثر المسلمون نزل فاما منا
بعد وفداء وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى
بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن ابي طالب فاستشار له
بكرا فيهم فقال قومك واهلك استبقهم لعل الله ان يتوب عليهم
وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر كذبوك واخرجوك
قدمهم واضرب اعناقهم فان هؤلاء ائمة الكفر وان الله اغناك
عن الفداء فمكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان لنسيب له
نضرب اعناقهم فقال عليه السلم ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون
الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة
وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني
فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا ثم قال لاصحابه انتم اليوم عالة فلا يفلتن احد
منهم الا بفداء او ضرب عنق وروى انه قال لهم ان شئتم قتلتموهم
وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل ناخذ
الفداء فاستشهد واحد وكان فداء الاسارى عشرين اوقية
وفداء العباس اربعين اوقية والاوقية اربعون درهما وعن محمد
بن سيرين كان فاوهم مائة اوقية والاوقية اربعون درهما وستة

دنانير وروى انهم لما اخذوا الفداء نزلت الاية فدخل عمر على رضى الله
عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال
يا رسول الله اخبرنى فان وجدت ابكيت وان لم اجد بكاء تباكيت
فقال ابكى على اصحابك فى اخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم ادنى
من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروى انه قال لو نزل عذاب
من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الاثخان
فى القتل احب الى عرض الدنيا حطامها سمى عرضا لانه حدث قليل
اللبث يريد الفداء والله يريد الاخرة يعنى ما هو سبب الخ نه من اعزاز
الاسلام بالاثخان فى القتل وقرئ يريدون بالياء وقراءتهم
والله يريد الاخرة بجر الاخرة على حذف المضاف وابقاء المضاف اليه
على حاله كقوله شعر ونار توقد بالليل نارا ومعناه والله يريد
عرض الاخرة للتقابل يعنى ثوابها والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه
ويمكنون منهم قتلا واسرا ويطلقهم الفداء ولكنه حكيم يوخر ذلك
الى ان يكثروا ويعزوا وهم يجهلون لولا كتاب من الله سبق
لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم لولا كتاب من الله سبق له منه
سبق اثباته فى اللوح وهو انه لا يعاقب احدا بخطاء وكان هذا خطأ
فى الاجتهاد لانهم نظروا فى ان استبقاءهم ربما كان سببا فى اسلامهم
وتوبتهم وان فداءهم يتقوى به على الجهاد فى سبيل الله وخفى عليهم
ان قتلهم اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم واقل لشوكتهم وقيل كتابه
ان سيحل لهم الغنيمة التى اخذوها وقيل ان اهل بدر مغفور لهم
وقيل انه لا يعذب احدا الا بعد تاكيد الحجة وتقديم النهى ولم يتقدم

نهى عن ذلك فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله
غفور رحيم فكلوا مما غنمتم روى انهم امسكوا عن الغنايم ولم يمدوا
ايديهم اليها فنزلت وقيل هو اباحة للفداء لانه من جملة الغنايم واتقوا
الله فلا تقدموا على شئ لم يعهد اليكم فيه فان قلت ما معنى الفا
قلت التسبب والسبب محذوف معناه قد ابحت لكم الغنايم فكلوا مما
غنمتم حلالا نصب على الحال من المضمر او صفة للمصدر اى اكلا
حلالا وقوله ان الله غفور رحيم معناه انكم اذا اتقيتموه بعد ما فرط
منكم من استباحة الفداء قبل ان يؤذن لكم فيه غفر لكم ورحمكم
وتاب عليكم يا ايها النبى قل لمن فى ايديكم من الاسرى ان يعلم
الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم والله
غفور رحيم فى ايديكم فى ملككم كان ايديكم قابضة عليهم وقرئ
من الاسرى فى قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة نية يوتكم خيرا مما اخذ
منكم من الفداء اما ان يخلفكم فى الدنيا اضعافا او يثيبكم فى الاخرة
وفى قراءة الاعمش يثبكم خيرا وعن العباس انه قال كنت مسلما لكنهم
استكرهونى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكن ما تذكر
حقا فالله يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان علينا وكان احد الذين
ضمنوا اطعام اهل بدر وخرج بالذهب الذى اخذ منه وروى ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس افد بنى اخيك عقيل بن ابى طالب
ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتنى اتكفف قريشا ما بقيت فقال
فاين الذهب الذى دفعته الى ام الفضل وقلت ان اصبت فى سفرى
هذا فلعبد الله كذا ولعبيد الله كذا فقلت ما ادرى ما يصيبنى فى وجهى هذا فان حدث فهو لك ولعبد الله

وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك قال اخبرني ربي قال
العباس اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله
والله لا يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل
ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذ اخبرتني بذلك فلا ريب قال
العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الان عشرون عبدا وان ادنى هم
ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال
اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي وروي انه قدم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم مال البحرين ثمانون الفا فتوضا لصلوة الظهر
وما صلى حتى فرقه وامر العباس ان ياخذ منه فاخذ ما قدر على حمله
وكان يقول هذا خير مما اخذ مني وارجوا المغفرة وقراء الحسن وشيبه
مما اخذ منكم على ابنا للفاعل وَاِنْ يُرِيْدُوْا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللّٰهَ
مِنْ قَبْلُ فَاَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللّٰهُ عَلِيْمٌ حَكِيْمٌ وان يريد واخيانتك نكث
ما بايعوك عليه من الاسلام والردة واستجاب دين اباءهم فقد
خانوا الله من قبل في كفرهم ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه
فامكن منهم كما رايتم يوم بدر فسيمكن منهم ان اعادوا الخيانة
منع ما ضمنوا من الفداء اِنَّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَهَاجَرُوْا وَجٰهَدُوْا
بِاَمْوَالِهِمْ وَاَنْفُسِهِمْ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ وَالَّذِيْنَ اٰوَوْا وَّنَصَرُوْٓا اُولٰٓئِكَ
بَعْضُهُمْ اَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَلَمْ يُهَاجِرُوْا مَا لَكُمْ مِّنْ وَّلَايَتِهِمْ
مِّنْ شَيْءٍ حَتّٰى يُهَاجِرُوْا وَاِنِ اسْتَنْصَرُوْكُمْ فِي الدِّيْنِ فَعَلَيْكُمُ
النَّصْرُ اِلَّا عَلٰى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيْثَاقٌ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌ
الذين هاجروا اي فارقوا اوطانهم وقومهم حبا لله ورسوله هم

المهاجرون

المهاجرون والذين اووهم الى ديارهم ونظروهم على اعدايهم
هم الانصار بعضهم اولياء بعض اى يتولى بعضهم بعضا فى الميراث وكان
المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوى القرابات
حتى نسخ ذلك بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقرئ من ولايتهم
بالكسر والفتح اى من توليهم فى الميراث ووجه الكسر ان تولى بعضهم
بعضا بالعمل والصناعة كالنسج يتوليه صاحبه بزوال المراءة شيئا
عملا فعليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم منهم بينكم وبينهم
عهد فانه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لانهم لا يبتدون بالقتال اذ
الميثاق مانع من ذلك والذين كفروا بعضهم اولياء بعض
الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير والذين كفروا
بعضهم اولياء بعض ظاهره اثبات الموالات بينهم كقوله فى المسلمين
اولئك بعضهم اولياء بعض ومعناه نهى المسلمين عن موالات الذين
كفروا وموارثتهم وايجاب مباعدتهم ومصارمتهم وان كانوا
اقارب وان يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال الا تفعلوا
اى ان لا تفعلوا ما امركم به من تواصل المسلمين وتولى بعضهم
بعضا حتى فى التوارث تفضيلا لنسبة الاسلام على نسبة القرابة
ولم يقطعوا العلايق بينكم وبين الكفار ولم يجعلوا قرابتهم كلا قرابة
ولم يقطعوا العلايق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا قرابتهم تحصل
فتنة فى الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين ما لم يصيروا ايدا واحدة
على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زايدا وقرئ كثير بالثا
والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين اووا

وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ

اولئك هم المومنون حقا لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل
مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والانسلاخ من المال
لاجل الدين وليس بتكرار لان هذه الاية واردة للثناء عليهم والشهادة
لهم مع الوعد الكريم والاولى للامر بالتوامل وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ
وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ
بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

والذين امنوا من بعد يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة
كقوله والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان الحقهم بهم وجعلهم منهم تفضلا منه
وترغيبا واولوا الارحام اولوا القرابات اولى بالتوارث وهو
نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة فى كتاب الله فى حكمه وقسمته
وقيل فى اللوح وقيل فى القران وهو اية المواريث وقد استدل
به اصحاب ابى حنيفة على توريث ذوى الارحام عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة الانفال وبراة فانا شفيع له يوم القيمة
وشاهد انه برى من النفاق واعطى عشر حسنات بعدد كل منافق
ومنافقة وحان العرش وحملته يستغفرون سورة التوبة مدنية
له ايام حيوته فى الدنيا ومية وثلثون اية لها عدة اسماء براة الفو
المقشقشة المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة المثيرة الحافرة المنكلة
المدمدمة سورة العذاب لان فيها التوبة على المؤمنين وهى
تقشقش من النفاق اى تبرىء منه وتبعثر عن اسرار المنافقين يجب عنها

وتبشره

وتثيرها وتحفز عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشردبهم وتخزيهم وتدمدم
عليهم والحذيفة انكم تسمونها سورة التوبة وانما هي سورة العذاب
والله ما تركت احدا الا نالت منه فان قلت هلا صدرت باية
التسمية كما سائر السور قلت سال عن ذلك ابن عباس وعثمان
رضي الله عنهما فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزلت
عليه السورة او الاية قال اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا
وكذا ولم يبين لنا ابن نضعها
وكانت قصتها شبيهة بقصتها فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان
القرينين وعن ابي ابن كعب انما توهموا ذلك بان في الانفال ذكر العهود
وفي التوبة نبذ العهود وسيل ابن عيينة فقال اسم الله سلام وامان
فلا يكتب بالنبذ والمحاربة قال الله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم
السلم لست مؤمنا قيل فان النبي صلى الله عليه وسلم قد كتب الى
اهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم قلت انما
ذلك ابتداء يدعوهم ولم ينبذ اليهم الا تراه يقول سلام على من
اتبع الهدى فمن دعي الله فاجاب ومن دعي الى الجزية فاجاب قد اتبع
الهدى واما النبذ فانما هو البراة واللعنة واهل الحرب لا يسلم عليهم
ولا يقال لا يفرق ولا تخف ومترس ولا باس هذا امان كله وقيل
سورة الانفال والتوبة سورة واحدة كلتاهما نزلت في القتال فعد
ان السابعة من الطول وهي سبع وما بعدها المايون وهذا قول
ظاهره لانهما معا مائتان وست فيهما بمنزلة احد الطول وقيل اختلف
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم الانفال

وبراة سورة واحدة وقال بعضهم سورتان فتركت بينهما فرجة
لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال هما سورة
واحدة بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
براة خبر مبتدا محذوف اى هذه براة ومن الابتدا الغاية متعلق
بمحذوف وليس بصلة فى قولك بريت من الدين والمعنى هذه براة
واصله من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من
فلان الى فلان ويجوز ان يكون براة مبتدا التخصيصها بصفتها
والخبر الى الذين عاهدتم كما تقول رجل من بنى تميم فى الدار وقرئ
براة بالنصب على اسمعوا براة وقرا اهل نجران من الله بكسر النون
والوجه الفتح مع لام التعريف لكثرته والمعنى ان الله ورسوله برآ
من العهد الذى عاهدتم به المشركين وانه منبوذ اليهم فان قلت
لم علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين قلت قد
اذن الله لنبذ اليهم فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم
اعلموا ان الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين ووعدهم
عاهدوا المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا
منهم وهم بنو ضمرة وسواكنانة فبذ العهد الى الناكثين وامروا ان يسيحوا
فى الارض اربعة اشهر سيحوا ان شاؤا والا يتعرض لهم وهى الاشهر الحرم
فى قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم وذلك لصيانة الاشهر الحرم من القتل
والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان
وكان الامير فيها عتاب بن اسيد فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابا بكر رضى الله عنه على موسم سنة تسع ثم اتبعه امير المؤمنين على

رضى الله

رضي الله عنه راكب العضباء ليقراها على اهل الموسم فقيل له لو بعثت
بها الى ابي بكر فقال لا يودي عني الا رجل مني فلما دنى علي ابن ابي طالب
سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذه رغاة ناقة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما لحقه قال اميرا وماموما قال ماموما وروي ان ابا بكر
لما كان ببعض الطريق هبط جبريل فقال يا محمد لا يبلغ رسالتك
الا رجل منك فارسل عليا كرم الله وجهه فرجع ابو بكر الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اشيء نزل من السماء قال
نعم فسر وانت على الموسم وعلي ينادي بالاي فلما كان قبل التروية
خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي ابن ابي طالب يوم
النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله
اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلثين او اربعين اية وعن مجاهد ثلث
عشرة اية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك
ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان
يتم الى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي ابلغ ابن عمك
انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا
بالرماح وضرب بالسيوف وقيل انما امر ان لا يبلغ عنه الرجل منه
لان العرب عادتها من نقض عهودها ان يتولى ذلك على القبيلة رجل
منها فلو تولاه ابو بكر لجاز ان يقولوا هذا خلاف ما يعرف فينا
في نقض العهود فاذ بعث علي تهم بتولية ذلك عليا فان قلت الاشهر
الاربعة ما هي قلت عن الزهري ان براءة نزلت في شوال فهي اربعة
اشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون

من ذى الحجه والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع
الاخر وكانت حرما لانهم اومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم او على
التغليب لان الحجة والمحرم منها وقيل لعشر من ذى القعدة الى عشر
من شهر ربيع الاول لان الحج فى تلك السنة كان فى ذلك الوقت
للنسى الذى كان فيهم ثم سار فى السنة الثانية فى ذى الحجة فان قلت
ما وجه اطباق اكثر العلماء على جواز مقاتلة المشركين فى الاشهر الحرم
وقد صانها الله عن ذلك قلت قالوا قد نسخ وجوب الصيانة وابيح
فقال المشركين فيها غير معجزى الله لا تفوتونه وان امهلكم وهو
مخزيكم اى مذلكم فى الدنيا بالقتل وفى الاخرة بالعذاب وَأَذَانٌ
مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ
وَرَسُولُهُ واذان ارتفاعه فابتفاع براة على الوجهين ثم الجملة
معطوفة على مثلها ولا وجه لقول من انه معطوف على براة كما يقال
عمر ومعطوف على زيد فى قولك زيد قايم وعمر وقاعد والاذان
بمعنى الايذان وهو الاعلام كما ان الامان والعطا فان قلت
اى فرق بين معنى الجملة الاولى والثانية قلت تلك اخبار بثبوت
البراة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت فان قلت لم علقت البرا
بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الايذان بالناس قلت لان البراة
مختصة بالمعاهدين والمناكثين منهم واما الايذان فعام لجميع الناس
من عاهد ومن لم ينكث يوم الحج الاكبر يوم عرفة وقيل يوم النحر لان
فيه تمام الحج ومعظم افعاله من الطواف والنحر والحلق والرمى
على رضى الله عنه ان رجلا اخذ بلجام دابته فقال ما الحج الاكبر فقال

يومك هذا خل عن دابتي وعن بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال
هذا يوم الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر وجعل الوقوف
بعرفة هو الحج الاكبر لانه معظم واجباته لانه اذا فات فات الحج وكذلك
ان اريد بر يوم النحر لان ما يفعل فيه معظم افعال الحج فهو الحج
الاكبر وعن الحسن سمي يوم الحج الاكبر لاجتماع المسلمين والمشركين
فيه وموافقته الاعياد اهل الكتاب ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده
فعظم في قلب كل مومن وكافر فحذف الباء التي هي صلة الاذان تخفيفا
وقرئ ان الله بالكسر لان ذان في معنى القول ورسوله عطف على
المنوى في برىء اى برىء هو او على محل ان المكسورة واسمها وقرئ
بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع اى برىء معه منهم
وبالجر على الجوار وقيل على القسم كقوله لعمرك ويحكى ان اعرابيا
سمع رجلا يقرؤها فقال ان الله برىء من رسوله فانا منهم برىء فبلغه
الرجل الى عمر فحكى الاعرابي قراءته فعندها امر عمر بتعلم العربية فَإِنْ
تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ
الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ
عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ فان تبتم من الكفر والغدر
فهو خير لكم وان توليتم عن التوبة واثبتم على التولي والاعراض عن
الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير سابقين الله ولا فايتين اخذه
وعقابه فان قلت لم استثنى قوله الا الذين عاهدتم قلت وجه

ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه
براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم
سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوا فاتموا اليهم عهدهم
والاستثنا بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان امروا في الناكثين ولكن
يكتفوا فاتموا اليهم عهدهم ولا يحرموهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر
ان الله يحب المتقين يعني ان تقضية التقوى ان لا يسوى بين
القبيلين فاتقوا الله في ذلك لم ينقصوكم شيئا لم يقتلوا منكم شيئا
احدا ولم يضروكم قط ولم يظاهروا ولم يعاونوا عليكم عدوا فلا تجعلوا
بني بكر على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهروا قريشا
بالسلاح حتى وقد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانشده شعرا لاهم اني ناشد محمدا حلف ابينا وابيك ان قريشا
اخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا هم بيتونا بالحطيم هجدا
وقتلونا ركعا وسجدا فقال عليه الصلوة والسلام لا نصرت ان لم
انصركم قرى لم ينقصوكم بالضاد معجمة ان لم ينقضوا عهدكم ومعنى
فاتموا اليهم فادوا اليهم تماما كاملا قال ابن عباس بقي لحي من بني
كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ
الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ
وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَآتَوُا
الزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ انسلخ الشهر كقولهم
انجرد الشهر وسنة جرد والاشهر الحرم التي ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا
فاقتلوا المشركين يعني الذين نقضوكم وظاهروا عليكم حيث وجدتموهم

من حل وحرم وخذوهم واسروهم والاحيد الاسير واحصروهم
وقيدوهم وامنعوهم من التصرف فى البلاد وعن ابن عباس حصرهم
ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام كل مرصد ومجتاز ترصدونهم
به وانتصابه على الظرف كقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فخلوا
سبيلهم فاطلقوا عنهم بعد الاسر والحصر او فكفوا عنهم ولاتعرضوا
لهم كقولهم خل السبيل لمن بنى المنارة وعن ابن عباس دعوهم وايتان
المسجد الحرام ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف لهم من الكفر والعذر
وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ
ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ احد من تفع بفعل
الشرط مضمر يفسره الظاهر تقديره وان استجارك احد استجارك
ولايرتفع بالابتداء لان ان من عوامل الفعل لايدخل على غيره والمعنى
وان جاءك احد من المشركين بعد انقضاء الاشهر الاعهد بينك وبينه
ولاميثاق فاسأمنك ليسمع ماتدعوا اليه من التوحيد والقران
ويتبين ما بعثت له فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على
حقيقة الامر ثم ابلغه بعد ذلك داره التى يامن فيها ان لم يسلم ثم
قاتله ان شئت من غير عذر ولاخيانة وهذا الحكم ثابت فى كل وقت
وعن الحسن هى محكمة الى يوم القيمة وعن سعيد بن جبير جاء رجل من
المشركين الى على ابن ابى طالب رضى الله عنه فقال ان اراد الرجل منا
ان ياتى محمدا بعد انقضاء هذا الاجل ليسمع كلام الله او ياتيه لحاجة
قتل قال لا لان الله يقول وان احد من المشركين استجارك الاية وعن
السدى والضحاك هى منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين ذلك اى ذلك

الامر يعني الامر بالاجارة في قوله فاجره بسبب انهم قوم جهلة
لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقته ما ندعوا اليه فلا بد من اعطائهم
الامان حتى يسمعوا ويفهموا الحق كيف يكون للمشركين عهد
عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام
فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين كيف
استفهام في معنى الاستنكار والاستبعاد لان يكون للمشركين
عهد عند رسول الله وهم ازداد واعزة صدودهم بمعنى محال ان يثبت
لهؤلاء عهد فلا تطمعوا في ذلك ولا تحرثوا به نفوسكم ولا تفكروا
في قتلهم ثم استدرك بقوله الا الذين عاهدتم اي ولكن الذين
عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني
ضمرة فتربصوا امرهم ولا تقاتلوهم فاستقاموا لكم على العهد
فاستقيموا لهم على مثله ان الله يحب المتقين يعني ان التربص بهم
من اعمال المتقين كيف وان يظهروا عليكم كيف تكرار الاستبعاد
لثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما كما قال شعر
وخبرتماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب يريد
فكيف مات اي كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظفروا عليكم
بعد ما سبق لهم من تاكيد الايمان والمواثيق لم يبقوا في حلف ولا عهد
ولم يبقوا عليكم ولا يرقبوا الا ولا ايرعوا حلفا وقيل قرابة وانشد
لحسان شعر لعمرك ان الك من قريش كان السقب من ذات النعام
وقيل الا الهاء وقرئ ايلا بمعناه وقيل جبريل وجبرا من ذلك
وقيل منه اشتق الايل بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن والوجه

ان اشتقاق

ان اشتقاق الاول بمعنى الحلف لانهم اذا تماسحوا وتحالفوا فعوا برأسهم
وشفرهم من الاول وهو الجوار وله اليل اى اين يرفع برصوته ودعت
الليها اذا ولولت ثم قيل لكل عهد وميثاق وال وسميت به القرابة لان
القرابة عقدت بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق لا يرقبوا فيكم الا قرابة
يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم واكثرهم فاسقون يرضونكم
كلام مبتدا فى وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقررا لاستبعاد
الثبات منهم على العهد واباء القلوب مخالفة ما فيها من الاضغان
لما يجرون على السنتهم من الكلام الجميل واكثرهم فاسقون متمردون
خلعاء لا مروءة ترزعهم ولا شمايل مرضية تردعهم كما يوجد ذلك فى
بعض الكفرة من التفادى عن الكذب والنكث والتعفف عما يثلم العرض
ويجر احدوثة السوء اشتروا بايات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله
انهم ساء ما كانوا يعملون اشتروا استبدلوا بايات الله بالقران
والاسلام ثمنا قليلا وهو اتباع الهوا الاهواء والشهوات فصدوا
عن سبيله فعدلوا عنه اوصدوا غيرهم وقيل هم الاعراب الذين جمعهم
ابو سفيان واطعمهم لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة واولئك
هم المعتدون فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة
فاخوانكم فى الدين ونفصل الايات لقوم يعلمون وان نكثوا
ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم
لا ايمان لهم لعلهم ينتهون هم المعتدون المجاوزون الغاية فى
الظلم والشرارة فان تابوا عن الكفر ونقض العهد فاخوانكم فهم
اخوانكم على حذف المبتدا كقوله محافان لم يحملوا اباءهم فاخوانكم

ونفصل الايات وتبينها وهذا اعتراض كانه قيل وان من تامل
تفصيلها فهو العالم بعثا وتحريضا على تامل فصل من احكام المشركين
المعاهدين وعلى المحافظة عليها وطعنوا في دينكم وثلبوه وعابوه
فقاتلوا ائمة الكفر فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع ضميرهم
اشعارا بانهم اذا نكثوا في حال الشرك تمردا وطغيانا وطرحا لعادات
الكرام الاوفياء من العرب ثم امنوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة
وصاروا اخوانا للمسلمين في الدين ثم رجعوا فارتدوا عن الاسلام
ونكثوا ما بايعوا عليه من الايمان والوفاء بالعهود وقعدوا
يطعنون في دين الله ويقولون ليس دين محمد بشئ فهم ائمة الكفر
وذوو الرياسة التقدم فيه لايشق كافر غبارهم وقالوا اذا طعن
الذمي في دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه
على ان لايطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة انهم لا
جمع يمين وقرئ الايمان اى لا اسلام لهم او لا يعطون بعد الردة و النكث
ولا سبيل اليه فان قلت كيف اثبت لهم الايمان بقوله وان نكثوا ايمانهم
التي اظهروها ثم قال لا ايمان لهم على الحقيقة وايمانهم ليست بايمان
وبه استشهد ابو حنيفة على ان يمين الكافر لا يكون يمينا وعند الشافعي
رضي الله يمينهم يمين وقال معناه انهم لا يوفون بها بدليل انه وصفها
بالنكث لعلهم ينتهون متعلق بقوله فقاتلوا ائمة الكفر اى ليكن
غرضهم في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما وجد من العظائم ان يكون
المقاتلة سببا في انتهائهم عما هم عليه وهذا من غاية كرمه وفضله وجوده
على المسي بالرحمة كلما عاد فان قلت كيف لفظ ائمة الكفر قلت همزة بعدها

همزة

همزة بين بين اى بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمزتين قراءة
مشهورة وان لم تكن بمقبولة عند البصريين اما التصريح بالياء
فليس بالقوة بقراءة ولا يجوز ان تكون ومن صرح بها فهو لاحن
الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم
اول مرة اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين
الا تقاتلون دخلت الهمزة على لا تقاتلون تقريرا لانتفاء المقاتلة
ومعناه الحض عليها على سبيل المبالغة نكثوا ايمانهم التي حلفوها
في المعاهدة وهموا باخراج الرسول من مكة حين تشاوروا في امره
بدار الندوة حتى اذن الله له في الهجرة فخرج بنفسه وهم بدؤكم اول
مرة اى وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لان رسول الله صلى الله
عليه وسلم جاءهم اولا بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة
لعجزهم عنها الى القتال فهم البادؤن بالقتال البادي اظلم فما منعكم
من ان تقاتلوهم بمثله وان تضروهم بالشر كما ضروكم وبخهم
بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها وتقرر
ان من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء
بالقتال من غير موجب حقيق بان لا يترك مصارمتهم وان يوبخ من فرط
فيها اتخشونهم تقرير على الخشية منهم وتوبيخ عليها فالله احق ان تخشوه
فقاتلوا اعداءه ان كنتم مؤمنين يعني ان قضية الايمان الصحيح
ان لا يخشى المؤمن الا ربه ولا يبالي بمن سواه كقوله ولا يخشون احدا
الا الله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم
ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله

على من يشاء والله عليم حكيم لما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم
الامر فقال قاتلوهم ووعدهم لتثبت قلوبهم ويصحح نياتهم انه يعذ
بايديهم قتلا ويخزيهم اسرا ويوليهم النصر والغلبة عليهم ويشف
صدور طايفة من المؤمنين وهم خزاعة قال ابن عباس هم بطون
من اليمن وسباء قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا و
فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال ابشر
فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبكم لما لقيتم منهم من المكروه
وقد حصل الله لهم هذه المواعيد كلها فكان ذلك دليلا على صدق
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته ويتوب الله على من يشاء
ابتداء كلام واخبار بان بعض اهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك
ايضا قد اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب
باضمار ان ودخل التوبة في جملة ما اجيب به الامر من طريق المعنى
والله عليم يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان حكيم لا يفعل الا ما
اقتضته الحكمة أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة
والله خبير بما تعملون ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على
وجه الحسبان والمعنى انكم لا تتركون على ما انتم عليه حتى يتبين
الخلص منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله ولم يتخذوا وليجة اى
بطانة من الذين يضادون رسول الله والمؤمنين ولما معناه ا
التوقع وقد دلت على ان تبين ذلك واتضاحه متوقع كاين وا الذ
لم يخلصوا دينهم الله ميز بينهم وبين المخلصين وقوله ولم يتخذوا معطو

على جاهدوا داخل فى حيز الصلة كانه قيل ولما يعلم الله المجاهدين
منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والوليجة فعيلة
من ولج كالدخيلة من دخل والمراد بنفى العلم نفى المعلوم كقول القائل
ما علم الله منى ما قيل فى يريد ما وجد ذلك منى ما كان لِلْمُشْرِكِينَ
أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ
أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ . ما كان
للمشركين ما صح لهم وما استقام ان يعمروا يعنى المسجد
الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام واما القراءة بالجمع ففيها وجهان
احدهما ان يراد المسجد الحرام وانما قيل مساجد لانها قبلة المساجد
واما مها فعامر كعامر جميع المساجد ولان كل بقعة منه مسجد والثانى
ان يراد جنس المساجد واذا لم يصلحوا الان يعمروا جنسها دخل تحت ذلك
ان لا يعمروا المسجد الحرام الذى هو صدر الجنس ومقدمته وهو اكد
لاطريقته طريقة الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتاب الله كنت انفى لكثرة
لقراءة القرآن من تصريحك بذلك وشاهدين حال من الواو فى يعمروا
والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة متعبداتهم
الله مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى شهادتهم على انفسهم بالكفر ظهور
كفرهم وانتصبوا اصنامهم حول البيت وكانوا يطوفون عراة ويقولون
لا نطوف عليها بثياب قد اصبنا فيها المعاصى وكلما اطافوا شوطا
سجدوا لها وقيل هو قولهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه
وما ملك وقيل اقبل المهاجرون والانصار على اسارى بدر فعيروهم
بالشرك وطفق على رضى الله عنه يوبخ العباس بقتال رسول الله ص

وقطيعه الرحم واغلظ له فى القول فقال العباس تذكرون مساوينا
وتكتمون محاسنة فقالوا اولكم محاسن قالوا نعم ونحن افضل منكم
اجرا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقى الحجيج ونفك العانى فنزلت
حبطت اعمالهم التى هى العمارة والحجابة والسقاية وفك العناة واذا هدد
الكفر او الكبيرة الاعمال الثابتة الصحيحة اذا تعقبها فما ظنك بالمفارك
والى ذلك اشار فى قوله شاهدين على انفسهم حيث جعله حالا عنهم
ودل على انهم قارنون بين العمارة والشهادة بالكفر على انفسهم فى حال
واحدة وذلك محال غير مستقيم انما يعمر مساجد الله من امن بالله و
اليوم الاخر واقام الصلوة واتى الزكوة ولم يخش الا الله فعسى
اولئك ان يكونوا من المهتدين انما يعمر مساجد الله كمن امن وقرئ
بالتوحيد اى انما يستقيم عمارة هؤلاء وان تكونوا معتدا بها والعمارة يتناول
رم ما استرم منها وفقها وتطييفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها
للعبادة والذكر من الذكر درس العلم بل هو اجله واعظمه وصيانتها عما لا يزن له
المساجد من احاديث الدنيا فضلا عن فضول الحديث وعن النبى صلى الله عليه وسلم
يأتى فى اخر الزمان ناس من امتى يأتون المساجد فيعدون فيها حلقا ذكرهم
الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وفى الحديث الحديث
فى المسجد ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة الحشيش قال صلى الله عليه وسلم قال
الله ان بيوتى فى ارضى المساجد وان زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد
تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى فحق على المزور ان يكرم زائره وعنه من الف المساجد
الف الله وقال اذا رايتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وعن انس
من اسرج فى مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له ما دام

في ذلك المسجد منوه فان قلت هلا ذكر الايمان برسول الله قلت لما علم
وشهر ان الايمان بالله قرينة الايمان بالرسول لاشتمال كلمة الشهادة والاذان
والاقامة وغيرها عليهما مقترنين من درجين كانهما شئ واحد فيرهنفك احدهما
عن صاحبه انطوى ذكر الايمان بالله الايمان بالرسول وقيل دل عليه بذكر اقامة
الصلوة وايتاء الزكوة فان قلت كيف قيل ولم يخش الا الله والمؤمن يخشى المحاذير
ولا يتمالك ان لا يخشاها قلت هي الخشية والتقوى في ابواب الدين وان لا يختار
على رضى الله رضا غيره لتوقع مخوف واذا عرضه امران احزهما حق الله والآخر
على نفسه وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد نفي تلك الخشية عنهم
فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين بعيد للمشركين عن موافقة الاهتداء جميعا
لاطماعهم في الانتفاع باعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها واملوا عاقبتها
بان الذين امنوا وضموا الى ايمانهم العمل بالشرايع مع استشعار الخشية
والتقوى اهتداؤهم دايرين عسى ولعل فما بال المشركين يقطعون انهم
مهتدون وما يلون عند الله الحسنى وفي هذا الكلام ونحو لطف للمؤمنين
في ترجيح الخشية على الرجاء ورفض الاعتزاز بالله اجعلتم سقاية الحاج
وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله
لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر
كالصيانة والوقاية ولا بد من رمضان محذوف تقديره اجعلتم اهل سقاية
الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله ويتصدقه قراءة ابن الزبير وابي وجزة
السعدي وكان من القراءة سقاية الحاج وعمر المسجد الحرام والمعنى انكاد
ان يشبه المشركون بالمؤمنين واعمالهم باعمالهم المثبتة وان يسوى
بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر ودعوى ان المشركين قالوا

لليهود نحن سقاة الحجيج وعمارة المسجد الحرام افنحن افضل ام محمد واصحابه فقالت
لهم اليهود انتم افضل وقيل ان المرتضى عليا قال للعباس يا عم الا تهاجرون الا
تلحقون برسول الله يا عم الا تهاجرون الا تلحقون برسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال افضل الست في افضل من الهجرة اسقي حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فلما
نزلت قال ابن عباس ما اراني الا تارك سقايتنا فقال صلى الله عليه وسلم
اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان
وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم
هم اعظم درجة عند الله من اهل السقاية والعمارة عندكم واولئك هم
الفائزون لا انتم والمختصون بالفوز دونكم قرئ يبشرهم بالتخفيف و
التثقيل وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف وعن
ابن عباس رضي الله عنهما هي في مهاجرين خاصة يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
اباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم
فاولئك هم الظالمون كان قبل فتح مكة من امن ولم يهاجر ويصارم اقاربه لكفرهم ويقطع موالاتهم فقالوا يا رسول الله ان نحن اعتزلنا
من خالفنا في الدين قطعنا اباءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وهلكت اموالنا
وخربت ديارنا وبقينا ضايعين فنزلت فهاجروا فضل الرجل يأتيه ابنه او
ابوه او اخوه او بعض اقاربه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم
رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت في السبعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة
فنهى الله عن موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يطعم احدكم طعم
الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله ابعد الناس ويبغض
في الله اقرب الناس اليه قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم

الذين
امنوا وهاجروا
وجاهدوا في سبيل الله
باموالهم وانفسهم اعظم
درجة عند الله واولئك
هم الفائزون

وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها
احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامره
والله لا يهدي القوم الفاسقين وقرئ عشيرتكم وعشايركم وقرا
الحسن وعشايركم فتربصوا حتى يأتي الله بامره وعن ابن عباس هو فتح مكة
وعن الحسن عقوبة عاجلة او آجله وهذه اية شديدة لا ترى اشد منها كيف
تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين
فليتصف ورع الناس واتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب في
ذات الله والثبات على دين الله ما يسخ له دينه على الاباء والابناء
واخوان والعشاير والمال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها
لاجله امر روى الله عنه احق شيء منها المصلحة فلا يدري اي طرفيه
اطول ويغوير الشيطان عن اجل خط من خطوط الدين فلا يبالي كانما
وقع على نفسه ذباب فطيره لقد نصركم مواقفها قال الله في مواطن
كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت
عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين مواطن الحرب مقاماتها
ومواقفها قال وكم موشع وكم موطن لولاي تحت كما هوى باجرام
ثم قلة الينق من هوى وامتناعه من الصرف لانه جمع هلكت وعلى صيغة
لم يات عليها واحد والمواطن الكثيرة وقعات بدر وقريظة والنضير
والحديبية وخيبر وفتح مكة فان قلت كيف عطف الزمان على المكان
وهو يوم حنين على المواطن قلت معناه ومواطن يوم حنين ويجوز
ان يراد بالمواطن الوقت كقتل الحسين على ان الواجب ان يكون يوم حنين
منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر وموجب ذلك ان قوله اذ اعجبتكم

يدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبة هذا الظاهر ولم يصح لان كثرتهم
لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا في جميعها فبقي ان يكون
ناصبه فعلا خاصا به الا اذا انصبت الذين حضروا فتح مكة منضما
اليهم الفان من الطلقا وبين هوازن وثقيف وهم اربعة الاف من الطلقا
فيمن ضامهم من امداد ساير العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوى قال
رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقيل قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ابو بكر
رضي الله عنه وذلك قوله اعجبتكم كثرتكم فاقتلوا فتالا شديدا واذكر
المسلمين كلمة الاعجاب بالكثرة وذل عنهم ان الله هو الناصر لا لكثرة
الجنود فان هزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه
وسلم وحده وهو ثابت في مركز لا يتحلحل ليس معه الا العباس
آخذا بلجام دابته وابو سفين بن الحرث ابن عمه وناهيك بهذه الوجوه
شهادة صدق على تناهي شجاعته ورباطة جاشه وما هي الا من ايات
النبوة وقال يا رب اين ما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا صيح بالناس
فنادى الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا اصحاب الشجرة يا اصحاب البقرة فكروا
عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة عليهم البياض على
خيول بلق فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قتال المسلمين فقال هذا
حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة
فانهزموا قال العباس لكاني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض خلفهم
على بغلته بما رجت ما صدرت واليا بمعنى مع اي مع رجها وحقيقته ملتبسة
برجها على ان الجار والمجرور في موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر

اى ملتبسا بها لم احلها يعنى مع ثياب السفر والمعنى لا تحدون موضعا
يستصلحون ظهوركم اليه وبجانكم لفرط الرعب فكانها ضاق عليكم ثم وليتم
مدبرين ثم الهزمتم ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل
جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم
يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم سكينة رحمة
التى سكنوا بها وثبتوا وامنوا وقيل هم الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين وقع الحرب وانزل جنودا يعنى الملائكة وكانوا ثمانية الاف
وقيل خمسة الاف وقيل ستة عشر الفا وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر
وسبى النساء والذرارى ثم يتوب الله ان يسلم ذلك بعد باسرهم وروى
ان ناسا منهم جاؤا بعد يعود رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام
وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابر الناس وقد سبى اهلونا واولادنا
واخذت اموالنا قيل سبى يوم هوازن ستة الاف نفس واخذ من الابل والغنم
ما لا يحصى فقال ان عندى ما ترون وان خير القول اصدقه اختاروا اما
ذراريكم ونساءكم واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاؤنا مسلمين وانا خيرنا هم
بين الذرارى والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبى فطابت
نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فاعطيه
مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال انى لا ادرى لعل فيكم من لا يرضى فمروا
عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء ان قد رضوا يا ايها الذين
امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان
خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم النجس مصدر

يقال نجس نجسا وقذر قذرا ومعناه ذو نجس لان مع هم الشرك الذى هو
بمنزلة النجس ولانهم لا يطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات
فهى ملابسة لهم او جعلوا كانهم النجاسة بعينها مبالغة فى وصفهم بها
وعن ابن عباس اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن رضى الله عنه
مشركا توضاء واهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس
بكسر النون وسكون الجيم على تقدير حذف الموصوف كانه قيل انما المشركون
نجس نجس او ضرب نجس واكثر ما جاء تابع لرجس وهو تخفيف بخس نحو
كبد فى كبد فلا يقربوا المسجد الحرام فلا يحجوا ولا يعتمروا وكانوا
يفعلون فى الجاهلية بعد عامهم هذا بعد حج عامهم هذا وهو عام
تسع من الهجرة حين وامر ابو بكر رضى الله عنه على الموسم وهو مذهب ابى حنيفة
واصحابه ويدل عليه قول على رضى الله عنه حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد
عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد
عندهم وعند الشافعى يمنعون من المسجد الحرام خاصة عند مالك يمنعون
منه ومن غيره من المساجد وعن عطاء ان المراد بالمسجد الحرام الحرم وان
على المسلمين ان لا يمكنوهم من دخوله ونهى المشركين ان يقربوه راجع الى نهى
المسلمين عن تمكينهم منه وقيل المراد من تولى المسجد الحرام والقيام
بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وان خفتم عيلة اى فقرا بسبب منع المشركين
من الحج وما كان لكم فى قدومهم عليكم من الافاق والمكاسب فسوف
يغنيكم الله من فضله من عطايا او من تفضله من وجه اخر فارسل السماء
عليهم مدرارا اغزر بها خيرهم واكثر بيمن واسلم اهل بنا له وجرش فجلبوا
الى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة

لقوله

بالفواتر وعن ابن عباس القى الشيطان فى قلوبهم الخوف وقال من اين
تاكلون فامرهم الله بقتال اهل الكتاب واغناهم بالجزية وقيل بفتح البلاد
والغنايم وقرئ عايلة بمعنى المصدر كالعافية او حالا عايلة ومعنى قوله
ان شاء ان اوجبت الحكمة اغناء وكان مصلحة لكم فى دينكم ان الله عليم
حكيم لا يعطى ولا يمنع الا عن حكمة وصواب قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا
يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية
عن يد وهم صاغرون من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين مع
ما فى حيز نفى عنهم الايمان بالله لان اليهود مشبهة والنصارى مثلثة
وايمانهم باليوم الاخر لانهم فيه على خلاف ما يجب وتحريم ما حرم الله
ورسوله لانهم لا يحرمون ما حرم فى الكتاب والسنة وعن الجبر والقدر
لا يعملون بما فى التورية والانجيل وان يدينوا دين الحق وان يعتقد
دين الاسلام الذين هو الحق وما سواه الباطل وقيل دين الله يقال
فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده جزية لانها طايفة مما على
اهل الذمة ان يجزوه اى يقضوه او لانهم يجزون بها من منّ عليهم
بالاعفاء عن القتل عن يد اما ان يراد يد المعطى او الاخذ فمعناه على
ارادة يد المعطى حتى يعطوها عن يد اى عن يد مواتية غير ممتنعة
لان من ابى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد ولذلك قالوا
اعطى بيده اذا انقاد واصحب الا ترى الى قولهم نزع يده عن الطاعة
يقال خلع ربقة الطاعة عن صفاة او حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير
نسية لا مبعوثا على يد احد ولكن عن يد المعطى الى يد الاخذ واما على

ارادة يد الاخذ فمعنا حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية اوعن انعلم
عليهم لان قبول الجزية منهم وترك اراقة دمهم نعمة عظيمة عليهم وهم
صاغرون اى توخذ منهم على الصغار والذل وهو ان ياتى بها
بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قايم والمتسلم جالس وان يتلل
ثلثة ويوجذ بتلبيبه ويقال له اد الجزية وان كان يوديها ويزق في
قفاه وتسقط بالاسلام عند ابحنيفة ولا يسقط به خراج الارض
واختلف فيمن تضرب على كل كافر من برهمى ومجوسى وصابى وحربى الا على
مشركى العرب وحدهم روى الزهرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
صالح عبدة الاوثان على الجزية لا من كان من العرب وقال لاهل مكة
هل لكم فى كلمة اذا قلتموها وانتم لكم بها العرب وادت اليكم الجزية
العجم وعند الشافعى لا يوخذ من المشركى العجم والما خوذ عند ابحنيفة
فى اول كل سنة من الفقير الذى له كسب اثنا عشر درهما ومن المتوسط فى
الغنى ضعفها ومن المكثر ضعف الضعف ثمانية واربعون درهما ولا يوخذ
من فقير لا كسب له وعند الشافعى رضى الله عنه يوخذ فى اخر السنة من كل
واحد دينار فقيرا كان اوغنيا كان له كسب اولم يكن وَقَالَتِ الْيَهُودُ
عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ
يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ
عزير ابن الله مبتدا وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير اسم اعجمى كعازر
وعيزار وعمرايل ولمعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نونه فقد جعله
عربيا واما قول من قال لسقوط التنوين لالتقاء الساكنين فقراءة من قرا
احد الله اولان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا فتحمل

عنه مبدوحة وهو قول ناس من اليهود ممن كان بالمدينة وما يقول
كلهم عن ابن عباس جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم
ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك ابن الضيف فقالوا ذلك
وقيل له قاله فنحاص وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد
موسى فرفع الله عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام
يسيح في الارض فاتاه جبريل فقال له الى اين تذهب قال اطلب العلم
فحفظه التوراة فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا اما
جمع الله التوراة في صدره وهو غلام الا انه ابنه والدليل على هذا
القول كان فيهم ان الاية تليت عليهم فما انكروا ولا كذبوا مع قهاكم
على التكذيب فان قلت كل قول يقال بالفم فما معنى قوله ذلك قولهم
قلت فيه وجهان احدهما ان يراد انه قول لا بعضده برهان فما هو الا لفظ
فارغ من معنى تحته كالالفاظ المهملة التي هي اجراس ونغم لا تدل على
معان وذلك ان القول الدال على معنى لفظة مقول بالفم ومعناه
موثر في القلب وما لا معنى له مقول بالفم لا غير والثاني ان يراد
بالقول المذهب كقولهم قول ابي حنيفة يريدون مذهبه وما يقولون
كانه قيل ذلك مذهبهم ودينهم بافواههم لا بقلوبهم لان الحجة معه
ولا شبهة حتى توثر في القلوب وذلك انهم اذا اعترفوا انه لا صاحبة له
لم يبق شبهة في الانفة الولد يضاهون لا بد فيه من حذف مضاف
يضاهي قولهم ثم حذف المضاف واقيم الضمير المضاف اليه مقامه فقيل
مرفوعا والمعنى ان الذين كانوا في عهد رسول الله من اليهود والنصارى
يضاهي قولهم قول قدمائهم يعني انه كفر قديم فيهم غير مستحدث ويضاهي

قول المشركين الملائكة بنات الله وقيل الضمير للنصارى اى يضاهى قولهم
المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وقرئ
يضاهيون بالهمز من قولهم امراة ضهياء على فعيل وهى التى لا تحيض من
الرجال فى انها لا تحيض او هم لها مزيدة كما فى غرق قاتلهم الله اى هم
احقاء بان يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا
شنعا قاتلهم الله ما اعجب فعلهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق
اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم
وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون
اتخاذهم اربابا انهم اطاعوهم فى الامر بالمعاصى وتحليل ما حرم الله وتحريم
ما حلله الله كما يطاع الارباب فى اوامرهم ونحوه تسمية اتباع الشيطان
فيما يوسوس به عبادة بل كانوا يعبدون الجن يا ابت لا تعبد الشيطان
وعن عدى بن حاتم انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى عنقى
صليب من ذهب فقال اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما
حرم فتحلونه قلت بلى قال فتلك عبادتهم وقال الفضيل ما ابالى اطعت
مخلوقا فى معصية الخالق او صليت لغير القبلة واما المسيح فحين جعلوه
ابنا لله فقد اهلوه للعبادة الا ترى الى قوله قل ان كان للرحمن ولد
فانا اول العابدين وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا امرتهم بذلك
ادلة العقل والنصوص فى الانجيل والمسيح عليه انه من يشرك بالله
فقد حرم الله عليه الجنة سبحانه تنزيها له عن الاشراك به واستبعاد
ويجوز ان يكون الضمير فى وما امروا للمتخذين اربابا اى وما امر
هؤلاء الذين هم عندهم اربابا الا ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف يصح

ان يكونوا

ان يكونوا اربابا وهم مامورون مستعبدون مثلهم يُرِيدُونَ
أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ
الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ
لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ مثل حالهم فى طلبهم
ان يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يريد ان
ينفخ فى نور عظيم مبثوث فى الافاق يريد الله ان يزيده ويبلغه الغاية
القصوى من الاشراق والاضاءة ليطفئه بنفخه ويطمسه ليظهره
ليظهر الرسول على الدين كله على اهل الاديان كلهم او ليظهر دين الحق
على كل دين فان قلت كيف جاء ابى الله الا كذا ولا يقال كرهت وابغضت
الا زيدا قلت اجرى ابا مجرى كيف قوبل يريدون ان يطفئوا نور الله
بقوله ويابى الله وكيف اوقع موقع ولا يريد الله الا ان يتم نوره
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ
أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ
الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ
أَلِيمٍ معنى اكل الاموال على وجهين اما ان يستعار الاكل للاخذ
الا ترى الى قولهم اخذ الطعام وتناوله واما على ان الاموال يوكل
بها فهى سبب للاكل ومنه قوله شعر يأكل كل ليلة اكافا يريد علفا
يشترى بثمن اكاف ومعنى اكلهم بالباطل انهم كانوا ياخذون الرشى
فى الاحكام والتخفيف والمسامحة فى الشرايع والذين يكنزون يجوز
ان يكون اشارة الى الاكثر من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع
خصلتين مذمومتين فيهم اخذ الرواطيل وكنز الاموال والضرب عن

الانفاق فى سبيل الخير ويجوز ان يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين
ويقرن بينهم وبين المرتشين من اليهود والنصارى تغليظا ودلالة على انك
من يأخذ منهم السحت ومن لا يعطى منكم طيب ماله سواء فى استحقاق البشارة
بالعذاب الاليم وقد نسخت الزكوة اية الكنز وقيل هى ثانية وانما عنى بترك
الانفاق فى سبيل الله منع الزكوة وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما ادى زكوته
فليس بكنز وان كان باطن وبالغ ان يزكى فلم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا
وعن عمر رضى الله عنه ان رجلا سأله عن ارض له باعها فقال احرز مالك
الذى اخذت احفر له تحت فراش امرأتك قال ليس بكنز قال ما ادى زكوته
فليس بكنز وعن ابن عمر رضى الله عنه كل ما ادرت زكوته فليس بكنز وان كان
تحت سبع ارضين وما لم يود زكوته فهو الذى ذكر الله وان كان على ظهر
الارض فان قلت فما تصنع بما روى سالم ابن الجعد انها لما نزلت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم تبا للذهب والفضة قالها ثلثا فقالوا له فاى مال
نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة صالحة تعين احدكم على دينه
وبقوله صلى الله عليه وسلم من ترك صفراء او بيضاء كوى بها وتوفى رجل
فوجد فى ميزره دينار فقال رسول الله كية وتوفى اخ فوجد فى ميزره دينار
ان فقال كيتان قلت كان هذا قبل ان تفرض الزكوة فاما بعد فرض الزكوة
فالله اعدل واكرم ان يجمع عنده مالا من حيث اذن له فيه ويودى عنه
ما اوجب عليه فيه ثم يعاقبه ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف
وطلحة ابن عبيد الله يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم احد ممن
اعرض عن القنية لان الاعراض اختيار الافضل والادخر فى الورع والزهد
فى الدنيا والاقتناء مباح موسع لا يذم صاحبه ولكل شئ حد وما روى عن

امير المومنين علي ابن ابي طالب رضي الله عنه اربعة آلاف فما دونها
نفقة فما زاد فهو كنز كلام مرفي الافضل فان قلت لم قيل ولا ينفقونها وقد
ذكر شيآن قلت ذهابا بالضمير الى المعنى دون اللفظ لان كل واحد منهما
جملة وافية وصدق كثيرة ودنانير ودراهم هو كقوله وان طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا وقيل ذهب به الى الاكنوز وقيل الى الاموال وقيل معناه ولا ينفقونها
والذهب كما ان معنى قوله شعرفاني وقيار بها لغريب وقيار كذلك فان قلت
لم خصا بالذكر من بين سائر الاموال قلت لانهما قانون التمول واثمان الاشيا
ولا يكنزهما الا من فضلا عن حاجته ومن كثر اعنده حتى يكنزهما لم يعدم سائر اجناس
المال فكان ذكر كنزهما دليلا على ما سواهما يوم يحمى عليها في نار جهنم
فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا
ما كنتم تكنزون . فان قلت ما معنى قوله يحمى عليها وهلا قيل يحمى من قولك
حمى المسم واحميته ولا تقول احميت على الحديد قلت معناه ان النار يحمى عليها
ان توقد ذات حمى وحر شديد من قوله نار حامية ولو قيل يوم تحمى لم يحط
هذا المعنى فان قلت فاذا كان الاحماء للنار فلم ذكر الفعل قلت لانه
مسند الى الجار والمجرور واصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحمى عليها
لانتقال الاسناد عن النار الى عليها كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر
القصة قلت رفع الى الامير وابن عامر انه قرا تحمى بالتا وقرا ابو جوة فتكوى
بالياء فان قلت لم خصت هذه الاعضا قلت لانهم لا يطيبوا باموالهم حيث
لم ينفقوها في سبيل الله الا لاغراض الدنيوية من وجاهة عند الناس
وتقدم وان يكون ماء وجوههم مصرنا يتلقون بالجميل ويحيون
بالاكرام ويحتشمون ومن اكل طيبات يتضلعون منها وينفخون جنوبهم ومن

ليس ناعتم من الشباب يطرحونها على ظهورهم كما ترى اغنياء زمانك هذه
اعراضهم وطلباتهم من اموالهم لا يخطرون ببالهم قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذهب اهل الثور بالاجور وقيل لانهم كانوا اذا ابصروا
الفقير عبسوا واذا ضمهم واياه مجلس ازوروا عنه وتولوا بركانهم
وولوا ظهورهم وقيل معناه يكوون على الجهات الاربع مقاديمهم وما
وجنوبهم هذا ما كنزتم على ارادة القول وقوله لانفسكم اى كنزتموه لتنتفع
به نفوسكم وتلتذ ويحصل لها الاغراض التى حامت حولها وما علمتم انكم
كنزتموه لتستضر به انفسكم وتتعذب وهو توبيخ لهم فذوقوا ما كنتم
تكنزون وقرئ تكنزون بضم النون اى وبال المال الذى كنتم تكنزونه
او وبال كونكم كانزين ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا
فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم
ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم وقاتلوا المشركين
كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين فى كتاب الله
فيما اثبته واوجبه من حكمة وراءه حكمة وصوابا وقيل فى اللوح
اربعة حرم ثلثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو
رجب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فى خطبته فى حجة الوداع الا
ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة
اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلث متواليات ذو القعدة وذو الحجة
والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر
الى ما كانت عليه وعاد الحج الى ذى الحجة وبطل النسئ الذى كان فى
الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة لابى بكر رضى الله عنه قبلها